أجاثا كريستي

الإرْث المَشؤوم

دار النجمة للنشر والتوزيع

الإرْث المَشؤوم

وقصص أخرى

أجاثا كريستي

الإرْث المَشؤوم

وقصص أخرى

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الإرث المشؤوم

رافقتُ بوارو في تحقيق كثير من القضايا الغريبة، إلا أنني لا أعتقد أن واحدة منها تفوق -في غرابتها- سلسلة الأحداث التي ظلت تشغلنا لبضع سنوات حتى تمكن بوارو من كشف غموضها.

تبدأ القصة في أثناء الحرب، عندما أثار انتباهنا في إحدى الليالي تاريخ أسرة ليميزورييه. كانت الظروف قد جمعت بيني وبين بوارو مرة ثانية لنجدد أواصر العلاقة التي بدأت في بلجيكا، وكان يتولى مسألة تخص الجيش وحقق فيها نجاحاً باهراً، وكنا -في ذلك الوقت- نتناول العشاء في كارلتون مع أحد كبار العسكريين الذي كان يكيل المدح لبوارو، واستأذن العسكري وبقينا لنشرب القهوة قبل أن نغادر المكان بدورنا.

وبينما كنا نستعد للانصراف استوقفنا صوت مألوف، واستدرت نحو مصدر الصوت لأجد السيد فنسنت ليميزورييه، وهو شاب عرفته في فرنسا، وكان معه رجل يكبره سناً يحمل ملامحه نفسها، وعرفنا أنه عم صديقي.

لم تكن معرفتي بالسيد ليميزورييه وثيقة إلا أنه كان شاباً لطيفاً خيالياً إلى حد ما، وأذكر أنني سمعت أنه ينتمي

إلى إحدى العائلات العريقة التي لديها ممتلكات واسعة في نورثمبرلاند منذ عهد بعيد. ولم نكن أنا وبوارو في عجلة، ومن ثم قبلنا دعوة الضابط الشاب وجلسنا إلى إحدى الطاولات مع الصديقين الجديدين وبدأنا نتحدث في شتى الموضوعات.

وكان ليميزورييه العم في نحو الأربعين من عمره، عريض الأكتاف، وكان مشغولاً في تلك المدة بإجراء بعض البحوث الكيميائية لصالح الحكومة. وقاطع جلستنا شابٌ على وجهه علامات القلق الشديد فقال: شكراً لله أن عثرت عليكما معاً.

- ما الذي حدث يا روجر؟

- والدك يا فنسنت... لقد سقط عن جواده وأصيب بإصابات بالغة.

لم نسمع بقية الحديث الذي دار بينهما على انفراد، ثم علمنا أن والد فنسنت قد تعرض لإصابة خطيرة حين سقط عن ظهر جوادٍ كان يجربه، ولم يكن ينتظر له أن يعيش حتى صباح اليوم التالي.

شحب وجه فنسنت حتى حاكى وجوه الموتى وقد أزعجه النبأ، ودُهشتُ من ذلك لأنني سمعت منه في فرنسا أن العلاقة بينه وبين أبيه ليست على ما يرام، لهذا فقد أثار دهشتي الآن من مشاعر القلق التي أظهرها بشأن أبيه. ولم يلبث فنسنت وعمه أن استأذنا بالانصراف وبقي الشاب الذي

حمل الخبر، وقد قدمه لنا فنسنت على أنه ابن عمه روجر ليميزورييه.

قال الشاب: مسألة غريبة ربما أثارت اهتمام السيد بوارو. لقد سمعت عن مهارتك يا سيدي وما يقال عن ولعك بعلم النفس.

قال بوارو بحذر: نعم، أنا مهتم بالدراسات النفسية.

وتابع الشاب يقول: هل لاحظت امتقاع وجه ابن عمي، هل تعلم السبب؟ لقد كانت قصة قديمة في الأسرة عن لعنة حلت بالأسرة، هل تحب أن تسمع هذه القصة؟

- يكون كرماً منك أن تروي القصة.

وتطلع روجر ليميزورييه، ثم قال: لدي فسحة طويلة من الوقت. حسناً يا سيد بوارو، إن عائلة ليميزورييه من العائلات العريقة، وقد حدث في القرون الوسطى أن شك أحد أفراد الأسرة في سلوك زوجته، وأقسمت الزوجة على براءتها إلا أن زوجها البارون هيجو رفض أن يستمع لها، وكان لها ابن وحيد، وأقسم الأب على أن الطفل ليس من صلبه وسيحرمه من الميراث. وحبس الزوج امرأته وابنها في غرفة مظلمة وتركهما حتى الموت، وماتت الزوجة وهي تصرخ قائلة: "أنا بريئة"، وصبت اللعنة فوق رأس الزوج وعلى أفراد أسرة ليميزورييه كلهم إلى الأبد، وكانت دعوتها ألا يرث الابن الأكبر أباه قط! وهكذا جرت اللعنة منذ ذلك الوقت. واتضحت براءة الزوجة بعد ذلك وقضى هيجو بقية

أيامه في الدير، إلا أن الشيء العجيب الذي حدث بعد ذلك أنه لم يحدث في تاريخ الأسرة أن ورث أي واحد من أكبر الأبناء أباه، وكان الميراث يؤول إلى الإخوة أو أبناء العم ولكنه لم يصل أبداً إلى يد الابن الأكبر. وكان والد فنسنت هو الابن الثاني من بين خمسة إخوة، أما الابن الأكبر فقد مات في طفولته، وكان فنسنت -في مدة الحرب- مقتنعاً كل الاقتناع بأن يد الموت ستمتد إليه في أية لحظة إلا أن شقيقيه اللذين يصغرانه لقيا حتفهما في الحرب بينما لم يصب هو بأدنى سوء.

قال بوارو مفكراً: قصة مثيرة للاهتمام، ولكن هذا الأب سيموت وسيرثه لكونه الابن الأكبر.

فقال الشاب: صحيح، لقد صدئت اللعنة ولم تعد تستطيع الاستمرار في الحياة المعاصرة.

وتطلع روجر ليميزورييه إلى ساعته مرة أخرى وقال: لقد حان موعد انصرافي.

* * *

جاءت الحلقة الثانية من القصة في اليوم التالي حين سمعنا بالموت المفاجئ للسيد فنسنت ليميزورييه، فقد كان يسافر في قطار البريد الإسكتلندي في أثناء الليل حين فتح باب مقصورته وسقط من القطار، ويظهر أن الصدمة التي تلقاها بموت أبيه كانت سبب الشرود الذي أودى بحياته.

وهكذا أثبتت لعنة الأسرة أنها ما تزال قائمة، وتذكرها أفراد الأسرة وهم يتحدثون عن رونالد ليميزورييه شقيق الأب الراحل والوريث الجديد للتركة الذي مات ابنه الوحيد في ذلك اليوم.

أعتقد أن لقاءنا مع فنسنت في اليوم السابق كان السبب في زيادة اهتمامنا بأي خبر نسمعه عن هذه العائلة؛ لأننا لاحظنا -بعد ذلك بعامين- موت رونالد وانتقال التركة إلى أخيه جون، وهو شخص قوي الجسم له ابن يدرس في آيتون. لا شك في أن اللعنة كانت ما تزال تطارد هذه العائلة، فقد أطلق الابن الرصاص على نفسه في الإجازة التالية، ثم مات أبوه فجأة بسبب لدغة من حشرة سامة مما جعل الثروة تؤول إلى أصغر الأشقاء الخمسة هيجو الذي نذكر أننا التقينا به في مساء تلك الليلة المأساوية في كارلتون التي لقي فيها فنسنت حتفه.

إلى جانب المصير التعس الذي كان ينتظر أفراد عائلة ليميزورييه لم نهتم بهم اهتماماً شخصياً، إلا أن الظروف فرضت علينا أن نقوم بدور إيجابي؛ فقد دخلت علينا ذات صباح السيدة ليميزورييه، وهي سيدة طويلة نشيطة في حوالي الثلاثين من عمرها وتتحدث بلكنة غريبة بعض الشيء، وقالت: سيد بوارو، أنا سعيدة بلقائك. زوجي هيجو ليميزورييه التقى بك منذ بضع سنوات، ربما لا تذكر ذلك.

- بل أذكر يا سيدتي، كان ذلك في كارلتون.

- ذاكرتك قوية يا سيد بوارو، أنا في أشد حالات القلق.

- وما السبب يا سيدتي؟

- ابني الأكبر... لدي ولدان، رونالد في الثامنة ويبلغ جيرالد السادسة.

فقال بوارو مشجعاً: تابعي حديثك، ما الذي يقلقك بشأن رونالد؟

- لقد نجا في الشهور الستة الماضية من الموت بأعجوبة؛ مرة من الغرق حينما كنا نقضي الصيف في كورنوول، وسقط في الثانية من شبّاك غرفته، وأخيراً من التسمم. ربما تطرق إلى بالك أنني امرأة معتوهة تجعل من الصغير كبيراً.

- كلا يا سيدتي، أية أم يتعرض ابنها لهذه الحوادث لا بد أن تنزعج. يمكنك أن تضعي قضباناً على شبّاك الطفل لحمايته من السقوط، وبالنسبة إلى التسمم من الأطعمة الفاسدة أعتقد أن الرقابة الصارمة للأم كفيلة بحماية ابنها.

- ولكن لماذا تقع هذه الأحداث كلها لرونالد وليس لجيرالد؟

فقال بوارو: الصدفة، مجرد الصدفة يا سيدتي.

- هل تعتقد ذلك؟

- ما رأيك أنت يا سيدتي؟ وما رأي زوجك؟

ظللت وجهَها سحابةٌ قاتمة، ثم قالت: لا جدوى من إثارة الحديث في هذا الموضوع مع هيجو؛ فلن يستمع إلي. لعلك سمعت عن لعنة العائلة، فالابن الأكبر لا يرث... هيجو يؤمن بهذه اللعنة إلى أبعد حد، وكلما فاتحته بالموضوع قال: هذه لعنة العائلة! إلا أنني أمريكية لا أؤمن بهذه الخرافات. لقد كنت ممثلة صغيرة عندما التقيت بهيجو، وعندما سمعت منه عن اللعنة كنت أعتقد أنها مجرد كلمات، ولكن عندما ترى الأحداث تنزل على أبنائك يتغير الأمر. أنا أحب أولادي يا سيد بوارو وعلى استعداد لأن أفعل أي شيء لحمايتهم.

فسأل بوارو قائلاً: إذن فأنت ترفضين أسطورة اللعنة؟

ردّت السيدة ليميزوروبيه قائلة: هل يمكن لأسطورة أن تنشر جذع شجرة العليق؟

قال بوارو بدهشة: ما هذا الذي تقولينه يا سيدتي؟

- كنت أقول: هل تستطيع أسطورة أو حتى شبح -إن شئت أن تسميه- أن ينشر جذع شجرة العليق؟ أنا لا أشير إلى ما حدث في كورنوول، فكثيراً ما يسهو الطفل ويسبح لمسافة بعيدة عن الشاطئ بالرغم من أن رونالد يجيد السباحة منذ كان في الرابعة من عمره، ولكن حادث الشجرة شيء مختلف. كلا الولدين يميل إلى الشقاوة، وقد اكتشفا قدرتهما على تسلق شجرة العليق وكانا يفعلان ذلك دائماً، وفي يوم بينما كان جيرالد غائباً عن المنزل تسلق رونالد الشجرة وسقط، ولكنه لم يُصَب إصابة خطيرة لحسن الحظ، وعندما

فحصت الشجرة وجدت قطعاً في الجذع... لقد فعل أحدهم ذلك عن عمد.

- ما تقولينه أمر خطير يا سيدتي، تقولين إن ابنك الأصغر كان غائباً عن البيت؟

- نعم.

- وحين تسمم من الطعام الفاسد هل كان أخوه غائباً؟

- كلا.

تمتم بوارو بدهشة بقوله: هذا أمر غريب. مَن الأشخاص المقيمون معكم في البيت؟

- الآنسة ساندرز مربية الوليد، وجون غاردنز سكرتير زوجي...

وتوقفت السيدة ليميزورييه لبرهة، فقال بوارو: ومن أيضاً يا سيدتي؟

- الميجور روجر ليميزورييه الذي التقيتَ به في تلك الليلة، وهو يقضي معنا معظم أوقاته.

- أهو أحد أبناء العم؟

- قرابة بعيدة، وهو لا ينتمي إلى الفرع نفسه من العائلة، ومع هذا أعتقد أنه أكثر الأقرباء صلة بزوجي. إنه شخص محبوب ونحن مولعون به، والولدان يحبانه حباً كبيراً.

- هل كان هو الذي دربهما على تسلق الشجرة؟

- ربما هو يعلمهما أحياناً أفعالاً شريرة!

- سيدتي، أعتقد أن حياة ابنك معرضة للخطر بالفعل، وربما كان في استطاعتي مساعدتك. أقترح أن توجهي إليّ أنا وهيستنغز دعوة، هل تعتقدين أن زوجك يعترض؟

- آه، لا، ولكنه سيرى أنه لا فائدة من ذلك. ما يثير أعصابي وقوفه مكتوف الأيدي وتوقعه موت ابنه في أية لحظة.

قال بوارو بهدوء: اهدئي يا سيدتي ودعينا نعالج الأمر بتعقل.

* * *

انتهينا من اتخاذ الاحتياطات اللازمة، وركبنا القطار في اليوم التالي قاصدين الجنوب. واستغرق بوارو -في أثناء الرحلة- في غفوة قليلة، ثم فاجأني بقوله: كان فنسنت ليميزورييه يركب قطاراً كهذا عندما سقط منه ولقي حتفه.

وسألته بدهشة: هل تعتقد أنه لم يكن مجرد حادث؟

- هل راودتك الشكوك نفسها يا هيستنغز؟ الحوادث التي وقعت لأفراد الأسرة كانت بناءً على تدبير محكم. لنستعرض حال فنسنت على سبيل المثال، ثم انتحار الشاب في آيتون وانطلاق الرصاصة بطريقة غامضة، ولنفرض أن ذلك الطفل لقي حتفه عند سقوطه من النافذة... ألم يكن

الأمر طبيعياً وأبعد ما يكون عن الشبهات؟ ولكن لماذا تقع الحوادث للطفل نفسه دائماً؟ مَن الذي يفيد من موت الطفل الأكبر؟ شقيقه الأصغر وهو في السادسة؟ أليست هذه فكرة سخيفة؟

- إذن هم يقصدون التخلص من الابن الأكبر.

قلت ذلك من دون تفكير في مَن هم الأشخاص الذين تدور حولهم هذه الشكوك، فهزّ بوارو رأسه معبراً عن عدم الاقتناع والتزم الصمت لبرهة، ثم قال: التسمم عن طريق الطعام الفاسد، يمكن للأتروبين أن يتسبب في حدوث الأعراض نفسها. نعم، تقتضي الضرورة تواجدنا في المنزل.

* * *

رحبت السيدة ليميزوريه بقدومنا أشد الترحيب، ثم قادتنا إلى غرفة المكتبة وتركتنا مع زوجها. ولاحظنا أن شكله قد تغير بصورة واضحة عما رأيناه مؤخراً. كانت كتفاه مقوسين أكثر من ذي قبل وتشوب وجهه مسحة ذهول، وظل يستمع بشرود إلى ملاحظات بوارو وهو يفسر له أسباب مجيئنا، ثم قال في النهاية: أنا أرحب بمجيئكما والبقاء معنا، وأشكرك -يا سيد بوارو- على هذا الاهتمام، ولكنني أقول: "لا فرار من القدر المحتوم". نحن أفراد عائلة ليميزوريه نعتقد أنه لا مفر من هذه اللعنة التي حلت فوق رؤوسنا.

ذكر له بوارو حادث نشر جذع شجرة العليق، ولكن

هيجو قابل الأمر باستخفاف وعلق على ذلك الحادث بقوله: مما لا شك فيه أنه مجرد إهمال من ناحية البستاني. نعم، ربما تكون آلة قد استُخدمت في ذلك، ولكن المرمى واضح، وسأخبرك بهذه الحقيقة يا سيد بوارو: لن يتأخر الأمر طويلاً.

حملق بوارو في وجه الشخص بدهشة وهو يقول: ما هذا الذي تقول؟

- لأنني أنا نفسي محكوم عليّ بالفناء. لقد ذهبت في العام الماضي لاستشارة الطبيب وأخبرني بأنني مصاب بداء لا أمل في الشفاء منه، لهذا لن تتأخر النهاية طويلاً. ولكنني أعلم أن رونالد سيموت قبلي وجيرالد هو الذي سيرث.

- وماذا يكون الموقف لو وقع حادث لابنك الثاني؟

قال وهو شاحب الوجه: لن يقع له شيء لأن اللعنة بعيدة عنه.

قال بوارو بإصرار: لنفرض أنه تعرض لحادث ما.

- في هذه الحال سيؤول الميراث إلى روجر ابن عمي.

وتوقف الحديث بسبب دخول شخص طويل قوي البنية يحمل مجموعة من الأوراق، وقال هيجو له: دعك من هذه الأوراق الآن يا غاردنر.

ثم التفت هيجو ليميزورييه نحو بوارو قائلاً: السيد غاردنر، سكرتيري.

انحنى السكرتير انحناءة خفيفة وتمتم ببعض الكلمات اللطيفة، ثم انسحب من الغرفة. وبالرغم من مظهره اللطيف إلا أنني لم أشعر بالارتياح نحوه. وقد صارحت بوارو بهذه الشعور بعد قليل عندما كنا نتنزه وحدنا في الحدائق البهيجة الموجودة حول المنزل، وأدهشني أن بوارو يشاركني الشعور نفسه إذ قال: نعم، نعم يا هيستنغز، أنت على حق؛ أنا -أيضاً- لا أشعر نحوه بالميل. آه، ها هما الطفلان.

كانت السيدة ليميزورييه تتقدم نحونا مصطحبة ولديها، وكانا ولدين وسيمين. كان الأصغر أسود الشعر مثل أمه بينما شعر الثاني مجعد يميل إلى الحمرة، وسلم الطفلان علينا بمودة ثم راح الطفلان يتوددان لبوارو، وقدمت لنا السيدة ليميزورييه الآنسة ساندرز المربية.

قضينا الأيام الأولى القليلة في بهجة وهدوء من دون الوصول إلى أية نتائج، وكان الولدان يعيشان حياة يومية عادية ولم يتعرض أحدهما لأي حادث مكدر. وجاء الميجور روجر ليميزورييه في اليوم الرابع ليبقى في المنزل لبعض الوقت.

لم يتغير كثيراً، فقد كان ما يزال على عادته السابقة يقابل الأمور كلها ببساطة، وكان من الواضح أن له منزلة كبيرة في قلب الطفلين اللذين استقبلاه بحفاوة وسرور بالغين منذ اللحظة الأولى لوصوله وخرجا معه إلى الحديقة ليلعبوا لعبة الهنود الحمر المتوحشين، ولاحظت أن بوارو خرج في أعقابهم من غير أن يفطن إليه أحد.

وفي اليوم التالي أقيم حفل شاي دُعي إليه جميع الحاضرين في المنزل بما في ذلك الطفلان، وكانت الدعوة مرسلة من كلايجيت التي تقيم في المنزل المجاور. واقترحت علينا السيدة ليميزورييه أن ننضم إلى الحفل إلا أن الارتياح بدا عليها بوضوح حين اعتذر بوارو عن قبول الدعوة وأعلن أنه يفضل البقاء في المنزل.

وحين ذهب الجميع إلى الحفل تحفز بوارو للعمل، وذكّرني بكلب الصيد وهو مستعد لبدء العمل. أعتقد أنه لم يترك ركناً في المنزل لم يفتشه، وبالرغم من ذلك فقد أنجزت العملية في هدوء وبطريقة منهجية من غير أن يثير أدنى شبهة، وكان من الواضح أنه غير راضٍ عن النتائج التي توصل إليها.

تناولنا الشاي في الشرفة مع الآنسة ساندرز التي لم تذهب إلى حفل الشاي، وقالت المربية: سيستمتع الأطفال بالحفل، وأرجو أن يحافظا على السلوك الطيب في الحفل ولا يتسببا في إتلاف أحواض الورد أو يقتربا من النحل.

لدى سماعه الكلمات الأخيرة توقف بوارو فجأة عن شرب الشاي الذي يمسكه في يده ولمعت عيناه كأنما رأى شبحاً مزعجاً، ثم قال بصوت كالرعد: النحل؟!

قالت المربية: نعم يا سيد بوارو، النحل. السيدة كلايجيت فخورة أشد الفخر بمجموعة النحل التي تربيها.

فصرخ بوارو بصوت مجلجل للمرة الثانية قائلاً: النحل؟!

ثم قفز من مكانه وهو يضع يده فوق رأسه واتجه نحو الشرفة.

ودُهشت من سر ثورته المفاجئة عندما سمع كلمة النحل تذكر أمامه. وفي تلك اللحظة سمعنا صوت محرك السيارة عند عودتها، وتوجه بسرعة نحو مدخل المنزل في الوقت الذي هبط فيه القادمون من السيارة. قال جيرالد بارتياع: لقد لدغ النحل رونالد.

قالت السيدة ليميزورييه: لقد كانت لدغة بسيطة ولم ينتج عنها ورم، وقد وضعنا فوق المكان محلول النشادر.

قال بوارو باهتمام: دعوني أفحص الصغير، أين موضع اللدغة؟

فقال رونالد: هنا، على جانب الرقبة، ولكنها لا تسبب أذى. قال لي أبي: لا تتحرك من مكانك، توجد نحلة طليقة. والتزمت الهدوء فطردها أبي، إلا أنها كانت قد لدغتني بالفعل بالرغم من أنني لم أشعر بأدنى ألم ولم أبكِ، لقد أصبحت كبيراً وسأذهب إلى المدرسة في العام القادم.

وفحص بوارو عنق الصبي، ثم انسحب مبتعداً وجذبني من ذراعي وهو يهمس في أذني قائلاً: هذه الليلة يا صديقي، لدينا مهمة بسيطة في هذه الليلة. لا تقل كلمة واحدة لأي مخلوق.

رفض بوارو أن يزيد حرفاً، وصرت نهباً للقلق والوساوس.

واعتكف بوارو في غرفته في وقت مبكر من الليل

وحذوت حذوه، وحينما كنا نصعد الدرج متجهَين إلى غرفتنا أمسك بذراعي ليزودني بتعليماته، وقال لي: لا تخلع ثيابك، انتظر وقتاً كافياً ثم أطفئ نور الغرفة والحق بي في هذا المكان.

وأطعته من دون مناقشة، ووجدته في انتظاري عندما حان الوقت المتفق عليه، وأشار إليّ طالباً مني الهدوء. وتسللنا بخفة إلى جناح الأطفال، وكان رونالد يشغل غرفة صغيرة خاصة به. ودخلنا إلى الغرفة على أطراف أقدامنا واختبأنا في أكثر الأماكن ظلمة من الغرفة. كانت أنفاس الطفل تتردد بانتظام وعمق، وهمست قائلاً: لا شك في أنه مستسلم لنوم عميق.

فأومأ بوارو برأسه موافقاً إياي، ثم قال هامساً: أعتقد أنه مخدَّر.

- لماذا؟

- لكي لا يصرخ عندما...

عندها توقف بوارو عن الكلام، فقلت له بلهفة: عندما يحدث ماذا؟

- عندما تُغرَز إبرة الحقنة في جسمه يا صديقي. اصمت الآن ودعنا نتوقف عن الكلام بالرغم من أنني لا أتوقع حدوث شيء قبل مرور بعض الوقت.

إلا أن بوارو كان مخطئاً في تصوره هذا، فلم تكد تمر

عشر دقائق حتى فُتح الباب بلا صوت وتسلل أحد الأشخاص إلى الغرفة، وسمعت صوت أنفاس سريعة متلاحقة ووقع أقدام تتجه نحو السرير، ثم سمعت صوتاً ضعيفاً مفاجئاً وسقط شعاع ضوئي صادر عن مصباح يدوي صغير فوق الطفل النائم، وظل حامل المصباح غير مرئي لنا، وترك الشبحُ المصباحَ على الأرض وأخرج بيده اليمنى حقنة وأمسك عنق الطفل بيده اليسرى.

قفزنا أنا وبوارو في تلك اللحظة، وتدحرج المصباح على الأرض ودار في الظلام صراع بيننا وبين الشبح. كان يملك قوة خارقة ولكننا تمكنا من التغلب عليه في النهاية، وصرخ بوارو قائلاً: الضوء يا هيستنغز، يجب أن أرى وجهه بالرغم من أنني أكاد أن أكون واثقاً من شخصيته.

وبينما كنت أتقدم نحو المصباح اليدوي اشتبهت - للحظةٍ - في أن الضوء سيكشف عن السكرتير لشعور الكراهية الذي أحسست به نحو ذلك الشخص، ولكنني كنت واثقاً الآن في أن الشخص الذي يفيد من وراء موت ابنَي عمه هو الشبح الذي نطارده.

واصطدمت قدمي بالمصباح فالتقطته وسلطت شعاع الضوء ليكشف عن وجه هيجو ليميزورييه، والد الطفل!

كاد المصباح أن يسقط من يدي المرتجفة وصحت بدهشة: مستحيل، مستحيل!

كان ليميزورييه غائباً عن وعيه، وتعاونت مع بوارو على

حمله إلى غرفته حيث وضعناه على سريره. وانحنى بوارو وانتزع شيئاً من يده اليمنى فارتجفت حين أطلعني على الحقنة. وسألته بقلق قائلاً: ماذا في الحقنة؟ سم؟

- أعتقد أنه حامض الفورميك.

- حامض الفورميك؟

قال بوارو بهدوء: نعم؛ من المحتمل أنه استخلصه عن طريق تقطير النحل. لعلك تذكر أنه كيمائي، وبهذا كان الموت سيُعزى إلى لدغة النحلة.

تمتمت قائلاً بدهشة: يا إلهي! يفعل هذا بابنه، وهل كنت تتوقع ذلك؟

فأومأ بوارو برأسه في أسى وهو يقول: نعم. هذا الرجل مجنون بالطبع، أعتقد أن معلوماته عن تاريخ الأسرة قد سببت له الجنون ودفعته رغبته القوية في الحصول على التركة إلى ارتكاب تلك السلسلة الطويلة من الجرائم. ربما خطرت له الفكرة -لأول مرة- وهو يركب القطار مع فنسنت في تلك الليلة. لم يكن يتحمل أن تثبت النبوءة فشلها، وكان ابن رونالد قد لفظ آخر أنفاسه بالفعل، وكان رونالد نفسه محكوماً عليه بالموت، وكان هو الذي دبر حادث انطلاق الرصاصة من المسدس، ولا أشك في أنه هو الذي دبر موت أخيه جون باستخدام الأسلوب نفسه عن طريق حقنة في وريد العنق بحامض الفورميك. وتحقق له ما كان يحلم به وأصبح وريث أملاك العائلة إلا أن عمر انتصاره لم يطل؛

فقد اكتشف أنه مصاب بمرض عضال لا أمل في الشفاء منه، وكانت تسيطر على عقله فكرة أن الابن الأكبر في العائلة لا يرث. وأشك في أنه كان وراء حادث تعرض الطفل للغرق أيضاً فهو الذي شجعه على السباحة بعيداً عن الشاطئ، وحين فشل في تدبيره قطع جذع الشجرة، وبعد ذلك سمم طعام الطفل.

تمتمت قائلاً وأنا أرتعد: تدبير شيطاني!

فقال بوارو: نعم يا صديقي العزيز، لا يوجد شيء أكثر إثارة للدهشة من التدبير المحكم الذي يتفتق عنه عقل المجنون. أعتقد أنه وصل إلى حال من الجنون المطبق مؤخراً.

- وأنا كنت أشك في روجر، ذلك الفتى اللطيف.

- كان تفكيراً طبيعياً يا صديقي. كنا نعلم أنه سافر هو الآخر مع فنسنت في تلك الليلة، وكنا نعلم -كذلك- أنه الوريث التالي بعد موت هيجو وأولاده، ولكن شكوكنا كان لها ما يؤيدها؛ فقد قُطعت الشجرة بينما كان الصبي في المنزل. ولكن كان من مصلحة روجر أن يموت الطفلان وطعام رونالد وحده هو الذي تسمم، وحينما عاد الطفلان في ذلك اليوم من حفل الشاي وذكر الأب أن النحل لدغ رونالد تذكرت الميتة السابقة التي نتجت عن لدغة زنبور، ومن هنا اتضحت الحقيقة في ذهني.

مات هيجو ليميزورييه بعد ذلك ببضعة أشهر في

مستشفى خاص كان قد نُقل إليه، وتزوجت أرملته في العام التالي السيد جون غاردنر السكرتير السابق لزوجها، وورث رونالد الميراث الضخم عن أبيه.

وقلت لبوارو معلقاً على ذلك: حسناً، ها قد انتهى وهم آخر؛ فقد انتهيت بنجاح من أسطورة اللعنة التي تحلق فوق رؤوس عائلة ليميزورييه.

* * *

لغز اختفاء الطاهية

في الوقت الذي كنت أقيم مع صديقي هيركيول بوارو في مسكنه كان من عادتي أن أتلو عليه -بصوت مرتفع- عناوين الصحيفة الصباحية الديلي بلير. وكانت الديلي بلير من الصحف التي تعنى بنشر الأنباء المثيرة وتجعل من الصغيرة كبيرة، وكانت العناوين -في ذلك اليوم- تتضمن: «اختفاء أحد موظفي المصرف ومعه سندات قيمتها خمسون ألف جنيه»، و«زوج ينتحر بوضع رأسه في داخل فرن مشتعل»، و«حياة عائلية بائسة»، و«اختفاء كاتبة على الآلة الكاتبة»، و«إلى أين ذهبت أدنا فيلد؟»...

قلت له: أمامك العديد من القضايا، ماذا تختار يا بوارو؟ «اختفاء أحد موظفي المصارف»، «جريمة انتحار غامضة»، «اختفاء كاتبة»... أيّة واحدة تثير انتباهك؟

ظلّ صديقي على هدوئه وهو يهزّ رأسه قائلاً: لا تثير أي واحدة منها فضولي يا صديقي. أريد أن أستسلم اليوم للراحة ولديّ بعض المشكلات المنزلية التي تحتاج إلى عنايتي.

- مثل ماذا؟

- الأواني يا هيستنغز... لديّ حلة فيها بقعة من الزيت تحتاج إلى التنظيف، وهناك المعطف الشتوي الذي يحتاج

إلى وضعه في التنظيف، وأعتقد أن الوقت حان لكي أهذّب شاربي، ثم عليّ أن أصبغه بعد ذلك.

فقلت وأنا أتجه نحو النافذة: أشكّ في أنك ستنفذ هذا البرنامج الشاق، هذا هو جرس الباب يرن؛ لقد جاءك أحد العملاء.

وأجاب بوارو قائلاً: إذا لم تكن القضية ذات أهمية قومية فلن أتولاها.

كانت القادمة سيدة بدينة ذات وجه أحمر وتلهث من المجهود الذي بذلته في ارتقاء الدرج بسرعة، وقالت وهي ترتمي متهالكة على أحد المقاعد: أأنت السيد بوارو؟

- نعم يا سيدتي، أنا هيركيول بوارو.

- أنت لا تشبه -بحال- الصورة التي أتخيلها لك. هل دفعت للصحيفة أجراً لكي تنشر ما قيل عنك من أنك مخبر داهية؟

قال بوارو باستياء: سيدتي!

- أنا آسفة، فأنت تعلم ما يُنشر في الصحف اليوم، ولكنني لم أقصد إهانتك. سأخبرك بما أطلبه منك... أريد منك أن تبحث عن طاهيتي.

حملق بوارو في وجهها بأنفة، ولأول مرة يخونه لسانه السليط.

واسترسلت السيدة تقول: إنهم يضعون في رؤوس الخدم أفكاراً شريرة في هذه الأيام... يغرونهم بالتحوّل إلى الطباعة على الآلة الكاتبة أو غيرها من الأعمال. أريد أن أعلم الأسباب التي تدفع الخدم إلى الشكوى؛ فهم يحصلون على يوم للراحة في الأسبوع، ويرتاحون بعد ظهر السبت، ويأكلون الطعام الذي نأكله، ونحن لا نستخدم السمن الصناعي، لا شيء غير السمن الطبيعي...

ثم سكتت لبرهة لتلتقط أنفاسها، فقال بوارو: لقد أخطأت بقدومك إليّ يا سيدتي، أنا لا أتولى قضايا البحث عن الخدم المختفين، أنا مخبر خاص.

- أعلم هذا، وأنا أطلب منك البحث عن طاهيتي التي اختفت في يوم الأربعاء الماضي من غير أن تترك لي كلمة واحدة.

- أنا آسف يا سيدتي؛ أنا لا أتولى مثل هذه القضايا.

صرخت السيدة قائلة بانفعال: أنت تأنف من مثل هذه القضية أيّها المخبر العظيم... تريد أن تكتفي بقضايا الأسرار الحكومية وسرقات حلي النبلاء؟ دعني أقل لك إن الخادمة -بالنسبة لي- لا تقل أهمية عن التاج الملكي... الطاهية الجيدة كنز ثمين، إذا فقدتها فكأنك فقدت الجواهر واللآلئ.

انفجر بوارو ضاحكاً في النهاية، ثم عاد إلى مقعده قائلاً: الحق معك يا سيدتي، لقد كنت مخطئاً. تعبيراتك تنم عن الذكاء، وستكون هذه القضية شيئاً جديداً بالنسبة إليّ،

فلم يسبق لي قط أن طاردت الخدم الهاربين. كنت تقولين إن جوهرتك (أعني الطاهية...) قد غادرت البيت في يوم الأربعاء ولم تعد، تعنين أمس الأول؟

فقالت السيدة: نعم، وكان ذلك يوم راحتها.

- أليس من المحتمل أن تكون قد أصيبت بحادث؟ هل اتصلتِ بالمستشفيات؟

- هذا ما كنت أفكّر فيه بالأمس، إلا أنها أرسلت -في صباح هذا اليوم- تطلب صندوقها. ولو كنت موجودة في البيت لما سمحت بتسليم الصندوق لها، ولكنني كنت قد ذهبت إلى القصّاب لسوء الحظ.

قال بوارو: هل تستطيعين أن تصفي لي الطاهية؟

- إنها فتاة في منتصف العمر، بدينة، وشعرها الأسود بدأ الشيب يغزوه، وشكلها ينم عن الاحترام، قضت في عملها السابق عشر سنوات، اسمها إليزا دان.

- ألم يحدث أيّ خلاف بينكما بشأن إجازتها في يوم الأربعاء؟

- لم يحدث بيننا أيّ خلاف قط، وهذا وجه الغرابة في الأمر.

سأل بوارو: وهل لديك خادمة سوى هذه الطاهية يا سيدتي؟

- نعم؛ آني هي وصيفتي، وهي شابة بالغة اللطف،

عيبها الوحيد النسيان وإطالة التفكير في الشّبّان ولكنها خادمة ممتازة إذا التفتت إلى عملها.

- هل كانت العلاقة طيبة بينها وبين الطاهية؟

- كانتا تختلفان بشأن بعض المشكلات، ولكنّ العلاقة بينهما كانت طيبة.

- ألا تستطيع الوصيفة أن تلقي بعض الضوء على أسباب اختفاء الطاهية؟

أجابت بعد صمت قصير قائلة: أنت تعلم طباع الخدم، فهم لا يفشون أسرارهم.

- ما عنوانك يا سيدتي؟

- كلايهام ٨٨ في شارع الأمير ألبرت.

- حسناً يا سيدتي، توقعي زيارة مني في هذا اليوم.

انصرفت الآنسة تود. ونظر إليّ بوارو باكتئاب قائلاً: هذا نوع من القضايا جديد علينا يا هيستنغز... اختفاء طاهية كلايهام! أرجو ألا يسمع صديقك المفتش جاب شيئاً عن هذا الموضوع.

وانصرف بوارو إلى تسخين المكواة لكي يزيل بقعة الزيت عن حلته الرمادية مستخدماً قطعة من ورق النشّاف، وقرّر -آسفاً- تأجيل تهذيب شاربه وصبغه إلى يوم آخر. ثم توجهنا إلى كلايهام.

* * *

قرعنا جرس باب المسكن المرقم ١٨ في شارع الأمير ألبرت، ففتحت لنا الباب خادمة أنيقة ذات وجه صبوح. وخرجت السيدة تود إلى الصالة لتحيينا قائلة: لا تذهبي يا آني، هذا السيد مخبر ويريد أن يوجه إليك بعض الأسئلة.

عبّر وجه آني عن صراع بين الفزع والإثارة، وقال بوارو وهو ينحني انحناءة بسيطة: شكراً لك يا سيدتي، أريد أن أتحدّث إلى خادمتك الآن، وأرغب في أن نكون على انفراد.

اقتادتنا السيدة تود إلى غرفة صغيرة، ثم غادرت الغرفة باستياء. وبدأ بوارو حديثه قائلاً: والآن يا آنسة آني، سيكون لما تقرّين به أهمية كبرى؛ فأنت وحدك التي تستطيعين إلقاء الضوء على هذه القضية... أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً بلا مساعدتك.

اختفى الفزع عن وجهها وقالت: سأخبرك بكل ما أعرفه يا سيدي.

فقال بوارو: الأمر الأول هو: ما فكرتك الخاصة عن اختفاء الطاهية؟ أنت فتاة ذات ذكاء، هذا يتضح من أوّل نظرة، فكيف تفسرين اختفاء الطاهية؟

انطلق لسان الفتاة أمام هذا التشجيع قائلة: أنهم تجّار الرقيق الأبيض يا سيدي... كانت الطاهية تحذرني منهم على الدوام! لقد وقعت –في النهاية– في أيديهم... أنا واثقة من ذلك. ومَن يدري؟ لعلّهم أرسلوها إلى إحدى بلاد أفريقيا؛

فقد سمعت أنهم يميلون هناك إلى السيدات البدينات.

- إذا فرضنا أن هذا ما حدث، هل كانت سترسل في طلب صندوقها؟

- حسناً، لا أدري يا سيدي. لا شكّ في أنها تريد حاجياتها حتى لو كانت في بلاد أجنبية.

- من الذي جاء يطالب بالصندوق؟

- رجل.

- من هو؟

- كارتر باترسون يا سيدي.

- هل حزمت لها الصندوق؟

- لا؛ كانت أشياؤها معدّة في داخل الصندوق والصندوق مربوطاً بالحبال.

- آه، هذا أمر مثير؛ هذا يعني أنها كانت مصرّة عند مغادرتها البيت في يوم الأربعاء على عدم العودة. ألا توافقينني على ذلك؟

تردّدت الخادمة لبرهة قبل أن تقول: لم أفكّر في ذلك من قبل، ولكنْ ما يزال احتمال وقوعها بين أيدي تجّار الرقيق الأبيض قائماً، أليس كذلك؟

- بلى، هل كنتما تشتركان في غرفة واحدة؟

ردّت الخادمة قائلة: كلا يا سيدي، لكل منا غرفتها الخاصة.

- هل كانت غير راضية عن عملها الحالي؟ هل كنتما تشعران بالسعادة هنا؟

- لم تتحدّث إليزا قط عن رغبتها في ترك العمل.

- العمل مريح في الواقع؟

وتردّدت الخادمة لبرهة، فقال بوارو مشجعاً: تحدّثي بحرية، لن أخبر سيدتك.

- حسناً، السيدة تشك بعض الشيء إلا أن الطعام طيب ووفير، نتناول عشاء ساخناً ويُسمح لنا بالقدر الذي نحتاجه من السمن... على أيّة حال لو فكّرت إليزا في التغيير لما تصرفت بهذه الطريقة.

- وبالنسبة إلى العمل، أهو شاق؟

- حسناً، لا تكف السيدة عن معاينة الأركان بحثاً عن الغبار، وهناك الزائر الدائم الذي يتردّد على البيت، ولكنّ هذا لا يحدث إلا في الإفطار والعشاء، والسيد والسيدة يتغيبان عن المنزل طوال اليوم.

- هل تحبين سيدك؟

- لا غبار عليه، وهو رجل شديد الهدوء وإن كان سليط اللسان بعض الشيء.

- ألا تذكرين آخر كلمة قالتها إليزا قبل انصرافها؟

- بلى، أذكر أنها قالت: "إذا كان هناك بعض الخوخ فسنتناوله في العشاء مع قطعة من اللحم والبطاطا المحمّرة"... كانت مولعة بالخوخ، وربما استدرجها مختطفوها تحت إغراء الخوخ.

- هل كانت تخرج في يوم الأربعاء بصورة منتظمة؟

- نعم، الأربعاء يومها والخميس لي.

ووجّه بوارو بعض الأسئلة الأخرى قبل أن يسمح للخادمة بالانصراف، وعندما جاءت السيدة تود مسرعة كان بوارو حريصاً على أن يخفّف من حدة غضبها لعدم السماح لها بالبقاء مع الخادمة، وقال لها بلباقة: من الصعب على سيدة ذات ذكاء خارق مثلك أن تصبر على الاستماع إلى الأسئلة الكثيرة الملتوية التي يوجهها المخبرون من أمثالنا.

* * *

بعد ذلك حوّل بوارو الحديث إلى السيد تود، وعلم من زوجته أنه يعمل في إحدى المؤسسات في المدينة وأنه لن يعود إلى المنزل قبل السادسة مساء. ثم سألها قائلاً: لا شكّ في أن اختفاء الطاهية أقلقه أشد القلق، أليس كذلك؟

فقالت السيدة تود: لم يكن يعرف القلق قط، كان كل ما قاله: ابحثي عن طاهية أخرى، تلك الطاهية ناكرة للجميل وحسناً فعلت بذهابها بمحض إرادتها.

- ما معلوماتك عن بقية سكان المنزل يا سيدة تود؟

- تعني السيد سمبسون ضيفنا الدائم؟ حسناً، ما دام يحصل على وجبتَي الإفطار والعشاء فلا يوجد ثمة ما يدفعه إلى الشكوى.

فسأل بوارو قائلاً: ما مهنته يا سيدتي؟

- يعمل في أحد المصارف.

وعندما ذكرت اسم المصرف شعرت برجفة تسري في بدني وأنا أتذكر قصة اختفاء موظف المصرف في صحيفة الديلي بلير. وسأل بوارو قائلاً: أهو شاب في مقتبل العمر؟

فأجابت السيدة تود: لقد كان في الثامنة والعشرين على ما أعتقد، وهو شاب لطيف هادئ الطباع.

- أريد أن أتحدّث إليه وكذلك مع زوجك، سأعود في المساء لهذا الغرض، وأنصحك بالراحة؛ فأنت -كما يظهر لي- متعبة يا سيدة تود.

أجابت بتمهل: أنا مجهدة بالفعل... بسبب القلق على إليزا والقيام بجولة للمشتريات في الأمس، ثم مهام البيت التي تعلمها يا سيد بوارو؛ لأن الوصيفة آني لا تستطيع أن تنهض بالعمل وحدها، وأنا أخشى أن تعطيني إنذاراً بترك العمل هي الأخرى... من أجل ذلك تراني متعبة غاية التعب.

واستأذن بوارو، ثم غادرنا المنزل.

* * *

قلت له بعد انصرافنا: هذه مصادفة غريبة، دافيز موظف المصرف المختفي يعمل في المصرف نفسه مع سمبسون، هل توجد علاقة بين الاثنين؟

فابتسم بوارو ثم قال: يوجد في هذا الطرف موظف هارب، وفي الطرف الآخر طاهية مختفية، ومن الصعب أن توجد علاقة بين الطرفين إلا إذا كان دافيز قد قام بزيارة سمبسون ووقع في غرام الطاهية وأقنعها بالفرار معه.

فضحكت، إلا أن بوارو ظل جاداً واسترسل قائلاً: وربما يكون قد فعل ما هو أسوأ من ذلك. تذكر -يا هيستنغز- أنك عندما تنوي الاغتراب تكون بحاجة إلى طاهية بارعة توفر لك الراحة أكثر من حاجتك إلى الوجه الحسن.

وسكت بوارو لبرهة ثم أردف يقول: هذه القضية غريبة ومتناقضة... لقد بدأت القضية تثير اهتمامي.

* * *

ذهبنا في المساء إلى المنزل المرقم ٨٨ في شارع إلبرت لمقابلة كل من تود وسمبسون، وكان الأول في الأربعين من عمره عريض الفكين وعلى وجهه مسحة من الحزن، وقال بشرود: آه، نعم، نعم... إليزا كانت طاهية ممتازة على

ما أعتقد ومدبّرة، وأنا أميل إلى الأشخاص المدبرين.

- هل تتصور سبباً معقولاً لتركها الخدمة فجأة على هذه الصورة؟

فقال السيد تود مفكّراً: حسناً، موضوع الخدم يقلق زوجتي، هذا القلق يسبب لها الانزعاج، وأنا أرى الأمر غاية في البساطة وأقول لها: ابحثي عن طاهية أخرى، لا داعي للبكاء على اللبن المسكوب.

ولم يقدّم لنا السيد سمبسون أيّة معلومات مفيدة. كان شاباً غير متميز الصفات يضع نظارات طبية، وقال: لا بدّ أنني رأيتها، سيدة عجوز... ألم تكن كذلك؟ آه، توجد خادمة أخرى، آني شابة لطيفة تميل إلى الخدمة.

- هل كانت الخادمتان على علاقة طيبة؟

فقال السيد سمبسون: لا أستطيع أن أحكم.

وقال بوارو عند مغادرتنا المنزل: حسناً، لم يسفر هذا عن شيء مفيد.

وقلت له: هل تشعر بخيبة الأمل؟ هل كنت تتوقع أن تسمع شيئاً معيناً؟

فهزّ بوارو رأسه ثم قال: كانت هناك بعض الاحتمالات، ولكني لم أكن أعوّل كثيراً على هذه اللقاء.

* * *

كان التطور التالي في القضية أن بوارو تلقى خطاباً في اليوم التالي، وناولني الخطاب بامتعاض بعد أن انتهى من قراءته. كان الخطاب مرسَلاً من السيدة تود التي ذكرت أنها لم تعد في حاجة إلى خدمات السيد بوارو بعد أن ناقشت الأمر مع زوجها الذي يرى أن من الحماقة استدعاء مخبر خاص للبحث في مسألة عائلية بحتة، وأرفقت السيدة تود مع خطابها جنيهاً أجرة الاستشارة.

صرخ بوارو قائلاً بغضب: آه! يتصورون أنفسهم يستطيعون التخلّص من هيركيول بوارو بهذه الكيفية؟ كنت أتصور أنني أؤدي معروفاً للسيدة تود نظير أجر تافه، ثم تكون النتيجة أن يطردوني بهذا الأسلوب؟! وإذا لم أكن مخطئاً فهذه لعبة السيد تود، ولكنني أقول: كلا وألف كلا، سأصرف كل ما أملك للكشف عن أسرار هذه القضية.

قلت له: ولكن كيف؟

- بدءاً سننشر إعلاناً في الصحف... شيئاً كهذا، وإذا قامت إليزا دان بالاتصال بهذا العنوان فسوف تسمع أنباء لصالحها. انشر الإعلان في جميع الصحف يا هيستنغز بينما سأقوم ببعض التحريات الخاصة، يجب أن ننفذ ذلك بأسرع وقت مستطاع.

* * *

لم ألتقِ ببوارو حتى المساء عندما بدأ يقص عليّ ما فعله

في ذلك اليوم، إذ قال: لقد قمت بالتحري عن السيد تود؛ لم يتغيب عن العمل في يوم الأربعاء، والأخبار كلها تشير إلى أنه إنسان محترم. أما بالنسبة إلى سمبسون فكان مريضاً في يوم الخميس ولم يذهب إلى المصرف، ولكنّه كان في عمله في يوم الأربعاء، وكان على علاقة طيبة بديفيز. يجب أن نركز آمالنا كلها على الإعلان المنشور في الصحف.

ظهر الإعلان في الصحف الرئيسية اليومية كلها، واستمرّ النشر -بناء على تعليمات بوارو- لمدة أسبوع. كان اهتمامه بموضوع اختفاء الطاهية أمراً غير عادي، ولكنني أدركت أنها أصبحت مسألة دفاع عن الكرامة. وعُرضت على بوارو -في هذه المدة- قضايا مهمة بأجور مرتفعة إلا أنه رفضها كلها، وكان يقوم بفحص عشرات الخطابات التي يتلقاها في كل يوم ثم يطرحها جانباً.

ولكن صبرنا تكلل بالنجاح في النهاية؛ ففي يوم الأربعاء التالي لزيارة السيدة تود لنا أخبرتنا صاحبة البيت بأن سيدة تدعى إليزا دان تطلب مقابلتنا، وطلب منها بوارو أن تحضرها بسرعة، وكانت أوصافها مطابقة للأوصاف التي حصلنا عليها.

قالت إليزا: لقد جئت بناء على الإعلان المنشور في الصحيفة. فكّرت في أنه ربما يكون قد وقع لبس ما ولم تعلموا أنني حصلت بالفعل على التركة التي ورثتها.

كان بوارو يتفرس فيها ملياً، ثم قدّم لها مقعداً وهو

يقول: حقيقة الأمر أن مخدومتك السابقة السيدة تود كانت قلقة عليك، كانت تخشى أن تكوني قد أصبت بحادث.

فأعربت إليزا عن بالغ دهشتها قائلة: ألم تتلقَّ رسالتي إذن؟

قال بوارو بعد قليل: لم تتلقّ شيئاً. من الأفضل أن تقصي علينا القصة بنفسك.

قالت إليزا: حين كنت عائدة إلى البيت في مساء الأربعاء استوقفني أحد الرجال، وهو سيد طويل القامة ذو لحية ويرتدي قبعة كبيرة، وقال لي: أنت الآنسة إليزا دان؟ فقلت: نعم. فقال: كنت أسأل عنك في المنزل المرقم ٨٨ وأخبروني بأنني أستطيع أن ألتقي بك هنا. لقد جئت -يا آنسة دان- من أستراليا لأبحث عنك، هل تعرفين اسم جدتك لأمك جين إيمرت؟ وقلت له: أعرفه جيداً. فقال: ربما لم تكوني تعرفين هذه الحقيقة من قبل... لقد كانت لجدتك صديقة حميمة تدعى إليزا ليشي، وقد توجهت تلك الصديقة إلى أستراليا حيث تزوجت من أحد المستوطنين الأثرياء وأنجبت طفلين ماتا في طفولتهما، وقد ورثت عن زوجها ثروته كلها، وقد ماتت تلك السيدة منذ بضعة شهور وأوصت لك ببيت في الريف وقدر كبير من المال.

وسكتت إليزا لبرهة ثم أردفت تقول: وقع عليّ الخبر كالصاعقة ولم أصدق ما سمعته في بادئ الأمر، ولا شكّ في أن الرجل لاحظ ذلك، فقد ابتسم وقال: معك الحق في

أن تكوني على حذر يا آنسة دان، هذه هي مستنداتي.

وناولني خطاباً من مكتب أحد المحامين في ملبورن اسمه هيرست كروشيت وبطاقة تحمل اسمه، أي السيد كروشيت. وأضاف الرجل قوله: هناك شرط أو شرطان... كانت عميلتنا غريبة الأطوار، فقد اشترطت أن تضعي يدك على البيت الموجود في كامبرلاند قبل الساعة الثانية عشرة من ظهر الغد. أما الشرط الثاني فهو قليل الأهمية، مجرّد اشتراط بألا تقومي بأعمال الخدمة للآخرين.

فامتقع لوني، وقلت له: ولكنني أعمل طاهية يا سيد كروشيت، ألم يخبروك بذلك في البيت؟ وأجابني قائلاً: لا تنزعجي يا عزيزتي... لم أكن أعلم ذلك، لا شكّ في أن هذا من سوء الحظ. فقلت بلهفة: هل هذا يعني أن أفقد المال كله؟ فقال لي بعد تفكير: أنت تعرفين -يا آنسة دان- أن هناك كثيراً من الأساليب للتحايل على القوانين. نحن -معشر المحامين- نتقن الأساليب، المخرج من هذه الورطة أن تكوني قد تركت وظيفتك بعد ظهر هذا اليوم.

وقلت له بقلق: وماذا بشأن الشهر الذي أنذر فيه مخدومتي في ترك الخدمة؟ فقال لي باسماً: يا عزيزتي الآنسة دان... تستطيعين أن تتركي مخدومتك في أيّة دقيقة إذا تنازلت عن أجر الشهر، وستقدّر مخدومتك الظروف. المشكلة الآن هي الوقت، يتحتم عليك أن تلحقي بالقطار الذي يتحرّك إلى الشمال من محطة كنجز كروس في الحادية عشرة وخمس دقائق... أستطيع أن أدفع لك مقدّماً

من استحقاقك عشرة جنيهات لتدفعي ثمن التذكرة وتكتبي رسالة في المحطة لمخدومتك، وسأحمل لها الرسالة بنفسي وأشرح لها الظروف.

فوافقت بالطبع، وبعد ساعة كنت أستقل القطار وأنا مضطربة لا أتبين رأسي من قدمي. كنت ما أزال أتخيل الأمر كله مجرّد حلم أو قصة من تلك القصص الخيالية التي نسمعها، ولكني توجهت إلى العنوان الذي حدّده لي المحامي فوجدت كل شيء على ما يرام، فقد تأكدت من أن البيت الذي ورثته يدرّ دخلاً قدره ثلاثمئة جنيه في العام. وقيل لي في مكتب المحامي الذي توجهت إليه إن معلوماتهم عن الأمر محدودة وكل ما في الموضوع أنهم تلقوا تعليمات من أحد السادة في لندن تقضي بأن يسلموني مئة وخمسين جنيهاً قيمة أجر المنزل للشهور الستة القادمة. وأرسل لي السيد كروشيت أمتعتي، إلا أنني لم أتلقّ كلمة واحدة من مخدومتي واعتقدت أنها غاضبة مني أو أنها حاقدة عليّ للثروة التي هبطت عليّ... وقد احتفظَتْ بالصندوق وأرسلَتْ ملابسي في لفافة من الورق، ولكن موقفي يكون شديد السخف لو أنها لم تتسلم رسالتي.

كان بوارو يصغي إلى القصة باهتمام بالغ، ثم أومأ برأسه وبدأ الرضا يظهر عليه، ثم قال: شكراً لك يا آنسة. يظهر أنه قد حدث بعض اللبس كما تذكرين، واسمحي لي أن أعوضك عما لقيته من التعب.

وسلمها مظروفاً وهو يقول: هل ستعودين إلى كامبرلاند

مباشرة؟ أريد أن أهمس بكلمة في أذنك: "لا تنسي قط كيف تطهين الطعام؛ لأن من المفيد للإنسان أن يتقن شيئاً في حال ما إذا سارت الأمور على غير ما يشتهي".

وحين انصرفت الآنسة دان قال لي بوارو بوجه عابس: أسرع يا هيستنغز، يجب ألا نضيع دقيقة واحدة... ابحث عن سيارة أجرة بينما أكتب مذكرة لجاب.

* * *

كان بوارو ينتظرني على عتبة الباب عندما أحضرت سيارة الأجرة، وسألته بقلق قائلاً: إلى أين تذهب؟

فتمتم بوارو بهدوء بقوله: الأمر الأول أن نرسل هذه المذكرة مع مراسل خاص.

وحينما انتهينا من ذلك طلب بوارو من السائق التوجه إلى المنزل المرقم ٨٨ في شارع الأمير ألبرت في كلايهام. وقلت له: إذن فنحن ذاهبون إلى هناك؟

- نعم، بالرغم من أنني أخشى أن نصل بعد فوات الأوان، فقد يكون طائرنا قد أفلت يا هيستنغز.

- ومن طائرنا؟

فردّ بوارو قائلاً: السيد سمبسون ذو الشخصية الغامضة.

قلت له بدهشة: ماذا تقول؟

- يا عزيزي هيستنغز! هل تريد أن تقول إن الأمر لم يتضح لك بعد؟

فقلت له: أنا أدرك أن الطاهية قد استُدرجت للابتعاد عن المكان، ولكن لماذا؟ لماذا يسعى سمبسون لإخراجها من المنزل؟ هل كانت تعلم شيئاً عنه؟

- لا شيء أبداً.

- حسناً، لماذا؟

- كان يريد شيئاً تمتلكه.

فسألته قائلاً: المال؟ الميراث الذي جاءها من أستراليا؟

- لا يا صديقي، بل شيئاً مختلف كل الاختلاف.

وسكت بوارو للحظة، ثم قال بأسى: صندوق متين من المعدن.

فنظرت إليه بدهشة وأنا أتخيل أنه يمزح؛ فقد كانت ملاحظته غريبة، ولكنه كان جاداً كل الجد. وقلت له: كان باستطاعته أن يشتري صندوقاً لو أراد.

- لم يكن يريد صندوقاً جديداً... كان يريد صندوقاً عريقاً، صندوقاً يوحي بالاحترام.

قلت له بانفعال: هل تريد أن تسخر مني يا بوارو؟

فنظر إليّ بهدوء وقال: أنت تفتقر إلى خيال السيد سمبسون

يا هيستنغز. أنصت إليّ جيداً: يتخلص سمبسون من الطاهية في مساء الأربعاء... لم يكن من الصعب طبع البطاقة أو المستندات التي أطلع الطاهية عليها، وكان على استعداد للتضحية بمئة وخمسين جنيهاً قيمة ما سماه «إيجار البيت للشهور الستة» في سبيل نجاح خطته. لم تستطع الآنسة دان أن تتعرف عليه وهو متنكر باللحية والقبعة الضخمة والتحدث باللهجة الأسترالية... وانتهى يوم الأربعاء بحصوله على سندات مالية قيمتها خمسون ألف جنيه.

فقلت مستغرباً: سمبسون، ولكنّ ديفيز هو...

ردّ بوارو بهدوء قائلاً: أرجوك أن تسمح لي بإكمال القصة يا هيستنغز... كان سمبسون يعلم أن السرقة لن تُكتشف إلا بعد ظهر الخميس، وهو لا يذهب إلى المصرف في يوم الخميس، ولكنه يتربص في انتظار ديفيز عند عودته للعشاء. من الجائز أنه اعترف له بارتكاب السرقة وأخبره بأنه سيرد له السندات... على أيّة حال فقد نجح في استدراج ديفيز ليذهب معه إلى كلايهام، وهذه إجازة الوصيفة، بينما خرجت السيدة تود في جولة للمشتريات. وهكذا فلا يوجد أحد في المنزل، وعندما تُكتشف السرقة مع اختفاء ديفيز فستتجه إليه أصابع الاتهام، وبذلك يكون سمبسون في مأمن ويستطيع أن يعود إلى عمله في اليوم التالي كأيّ موظف شريف.

- وماذا بشأن ديفيز؟

هزّ بوارو كتفيه ببطء ثم قال: ربما كان الأمر غير قابل

للتصديق، ولكن لا يوجد تفسير آخر يا صديقي! الصعوبة الأولى التي تواجه القاتل هي كيفية التخلص من الجثة، ولكن سمبسون فكر في هذه المشكلة قبل ارتكاب جريمته، وقد أثارت انتباهي حقيقة أن إليزا كانت عازمة على العودة عندما خرجت في تلك الليلة. هل تذكر ملاحظتها بشأن تناول الخوخ في العشاء؟ وبالرغم من هذا فقد كان صندوق أمتعتها معدّاً حين أقبل من يطالب به.

كان سمبسون هو الذي كتب لكارتر باترسون طالباً منه المجيء في يوم الجمعة، وهو نفسه الذي حزم الصندوق بعد ظهر يوم الخميس. أيّ شك كان يمكن أن يثور؟ خادمة تترك المنزل وتبعث من يطالب بأمتعتها وتكتب بطاقة على الصندوق عليها الاسم والعنوان، والأرجح أن يكون العنوان إحدى محطات السكة الحديدية القريبة من لندن التي يسهل الوصول إليها، ويذهب سمبسون في تنكره الأسترالي ليطالب بالصندوق بعد ظهر السبت، ثم يلصق على الصندوق بطاقة جديدة ويبعثه إلى مكان آخر لكي يُترك إلى أن يُطالَب به... وحين يتطرق الشكّ إلى السلطات المسؤولة لأسباب وجيهة ويُفتح الصندوق تكون المعلومات التي يحصلون عليها هي أن المرسل كان أسترالياً شحن الصندوق من إحدى الأماكن القريبة من لندن، ولن تتضح العلاقة بين الصندوق والمسكن المرقم ٨٨ في شارع الأمير إلبرت. آه، ها قد وصلنا.

* * *

كانت تصورات بوارو كلها صحيحة؛ فقد سافر سمبسون

منذ يومين، ولكنه لم ينجح في الفرار من عواقب جريمته إذ أمكن -عن طريق اللاسلكي- معرفة المكان الذي يقصده حيث استقل الباخرة أوليمبيا في طريقة إلى أمريكا.

واجتذب انتباه رجال السكك الحديدية في غلاسغو صندوق من المعدن مرسل باسم السيد هنري وينترجرين، وحين فُتح الصندوق عثر في داخله على جثة ديفيز ذي الحظ المنكود.

ولم يحاول بوارو قط أن يصرف الجنيه الذي أرسلته له السيدة تود كأتعاب الاستشارة، بل وضعه في داخل إطار وعلّقه على الحائط في غرفة الجلوس، وقال لي: سيظل في مكانه هذا لكي يذكّرني بأن على الإنسان ألا يغفل أتفه الملاحظات؛ فقد كانت هناك -في طرف من القضية- طاهية مختفية وفي الطرف الآخر مَن يتمتع ببرودة الأعصاب، وهي بالنسبة إليّ واحدة من أمتع القضايا التي توليتها.

* * *

السم القاتل

أعلنت صاحبة البيت قدوم سيدة تدعى السيدة بنجيللي وانسحبت مباشرة.

ومن بين الأشخاص الكثيرين الذين يفدون لاستشارة بوارو أفراد ذوو أطوار غريبة، إلا أن تلك السيدة كانت أغرب من رأيتهم على الإطلاق؛ فقد كانت سيدة ريفية نحيلة وشديدة العصبية وفي نحو الخمسين من عمرها وتضع عقداً ذهبياً حول رقبتها تتحسسه بأصابعها بطريقة عصبية، وكانت تضع فوق رأسها قبعة تكشف عن شعرها الرمادي، وهي من ذاك الطراز الذي تشاهد المئات من أمثاله عندما تسير في أحد شوارع المدن الريفية.

تقدّم بوارو لتحيتها وقد لاحظ ارتباكها قائلاً: تفضلي بالجلوس يا سيدتي، هذا زميلي السيد هيستنغز.

وجلست السيدة وهي تتمتم قائلة: أنت السيد بوارو المخبر الخاص؟

- في خدمتك يا سيدي.

إلا أن ضيفتنا ظلت معقودة اللسان وأخذت تفرك أصابعها بينما يزداد وجهها احمراراً، فقال بوارو: هل أستطيع أن أؤدي لك خدمة يا سيدتي؟

فردّت السيدة بنجيللي: حسناً، كنت أظن، أعني...

- تكلمي يا سيدتي، أرجوك أن تتكلمي بحرية.

فتشجعت السيدة بنجيللي وهدأت بعض الشيء، ثم قالت: الموضوع يا سيد بوارو... لا أريد أن تتدخل الشرطة في الأمر، كلا، لا أحبّ أن يصل الأمر إلى أيدي الشرطة مهما كان الثمن، وبالرغم من هذا فأنا منزعجة غاية الانزعاج ولا أدري كيف...

وتوقفت عن الحديث فجأة. وراح بوارو يشجعها بقوله: ليست لي أدنى صلة بالشرطة؛ فأنا أقوم بتحرياتي بمنتهى السرية.

فلمعت عيناها عند سماع هذه الكلمات وقالت: مخبر... هذا ما أريده. لا أريد أن يشيع الموضوع أو يتسرب إلى الصحف. أنت لا تعلم كيف تخوض الصحف في مثل هذه الموضوعات العائلية. لا أدري كيف طافت الفكرة الشريرة برأسي... قد أكون مخطئة بحق إدوارد المسكين... إنها لفكرة فظيعة تلك التي تستولي على عقل الزوجة، ومع هذا فأنت تسمع عن حدوث مثل هذه الأشياء الفظيعة في مثل هذه الأيام.

قال بوارو: اسمحي لي يا سيدتي، هل تتحدثين عن زوجك؟

- نعم.

- وأنت ترتابين في أنه يفعل شيئاً معيناً؟

ردّت السيدة بنجيللي قائلة: أنا أكره أن أصرّح بهذا يا سيد بوارو، ولكنك تقرأ عن حدوث أشياء كهذه... بينما لا يشتبه الضحايا في ما يُدبَّر لهم.

وبدأت أشعر باليأس من دخول السيدة في الموضوع مباشرة، إلا أن بوارو ظلّ على صبره المعتاد وقال بهدوء: تكلمي يا سيدتي، فكّري في السرور الذي سيتحقق لك عندما تكتشفين أن شكوكك لا أساس لها.

- هذا صحيح... أيّ شيء أفضل من حال القلق التي أعاني منها. أخشى أن أخبرك بأنني أتعرض للقتل بالسم.

- ما الذي يدفعك إلى هذا التفكير؟

فانطلق لسان السيدة بنجيللي دفعة واحدة وراحت تتحدّث بطلاقة كأنها تصف الحال لطبيبها المعالج. وقال بوارو: هل تشعرين بالألم والمرض بعد تناول وجبة الطعام؟ هل تتردّدين على الطبيب يا سيدتي؟ وماذا يقول لك؟

- يقول إنني أعاني من التهاب حاد في المعدة، ولكنني ألاحظ قلقه وعدم ثقته من التشخيص لأنه يغيّر لي الدواء في كل مرة بلا نتيجة.

- هل حدّثته عن مخاوفك؟

قالت السيدة بنجيللي: لا، في الواقع خشيت أن يتسرب

الخبر إلى الناس، ومن يدري: لعلّه التهاب في المعدة حقاً؟ ومع هذا فالشيء الغريب أنني لا أشكو من شيء عندما يتغيب إدوارد عن المنزل في إجازة نهاية الأسبوع، حتى إن فريدا لاحظت ذلك... فريدا هي ابنة أخت زوجي يا سيد بوارو... ثم هنالك زجاجة مبيد الأعشاب التي لم تُستخدم قط كما يؤكد البستاني بينما بقي فيها أقل من النصف.

ونظرت بتوسل إلى بوارو الذي بادلها ابتسامة مطمئنة، ثم أخرج دفتر مذكراته ليسجل بعض الملاحظات قائلاً: لنكن عمليين يا سيدتي، أين تقيمين أنت وزوجك؟

- في بولجارويث، وهي بلدة تجارية صغيرة في كورنوول.

- هل تعيشين فيها منذ زمن طويل؟

- منذ أربعة عشر عاماً.

- ألديكما أطفال؟

- لا.

- ولكنني أذكر أنك تحدّثت عن ابنة أخت.

فأجابت بهدوء بقولها: نعم، فريدا ستانتون هي ابنة أخت زوجي، وكانت تعيش معنا في الأعوام الثمانية الماضية إلى الأسبوع الماضي.

- آه، وماذا حدث في الأسبوع الماضي؟

- لم تكن الأمور تسير على ما يرام منذ بعض الوقت. لا أدري ما الذي حدث لفريدا، فقد أصبحت تصرفاتها طائشة وسلوكها لا يُحتمل، وذات يوم تركت البيت وولّت هاربة واستأجرت لنفسها مسكناً صغيراً في المدينة، ولم أرها منذ ذلك الحين. من الأفضل أن أتركها إلى أن تعود إلى صوابها... هكذا يقول السيد راندور.

فسأل بوارو قائلاً: ومن السيد راندور؟

استولت الحيرة والارتباك على السيدة بنجيللي من جديد، وقالت بعد تردّد: مجرّد صديق، شخص لطيف للغاية.

- هل توجد علاقة بينه وبين فريدا؟

قالت السيدة بنجيللي بتقزّز: لا، أبداً.

وتعمد بوارو تغيير موضوع الحديث قائلاً: أعتقد أنك أنت وزوجك تعيشان حياة رغيدة؟

- نعم، نحن ننعم بحياة رغيدة.

- والثروة لك، أم لزوجك؟

- آه، الثروة كلها لزوجي، في الواقع أنا لا أملك شيئاً.

- استمعي إليّ جيداً يا سيدتي، لكي نكون عمليين لا بدّ أن نكون قساة القلوب، لا بدّ لنا من البحث عن الدوافع... لا يمكن أن يسممك زوجك لمجرّد التسلية أو لملء وقت

الفراغ، هل تعرفين أيّ سبب يدفعه إلى التخلّص منك؟

فقالت السيدة بنجيللي بانفعال: توجد تلك السكرتيرة الشقراء التي تعمل معه. زوجي طبيب أسنان يا سيد بوارو، وقد قال لي إن الأمر يقتضي استخدام سكرتيرة حسنة المظهر لاستقبال الزبائن وتحديد المواعيد، وقد ترامى إلى سمعي أنه توجد علاقة بينهما بالرغم من أن زوجي ينفي ذلك بشدة.

فقال بوارو: وزجاجة قاتل الأعشاب، من الذي طلب شراءها يا سيدتي؟

- زوجي، وحدث ذلك منذ عام.

- وماذا بشأن فريدا الآن؟ هل لديها دخل تنفق منه؟

- دخلها نحو الخمسين جنيهاً في العام، لذا فأنا أعتقد أنها ترحب أشد الترحيب بعودتها للحياة في المنزل لتقوم بخدمة إدوارد إذا تركت البيت.

- إذن فقد كنتِ تفكرين بترك المنزل؟

قالت السيدة بنجيللي: لا أنوي التخلي عن كل شيء بهذه البساطة، فلم تعد النساء عبيداً يُبَعن ويشترين يا سيد بوارو.

- أهنئك على روحك الميّالة للاستقلالية يا سيدتي. وهل ستعودين في هذا اليوم إلى بولجارويث؟

- نعم، جئت في قطار الصباح وسوف أعود بعد الظهر في قطار الخامسة.

- حسناً، لست مشغولاً في الوقت الراهن بقضايا مهمة وأستطيع أن أتفرغ لموضوعك. سآتي في الغد إلى بولجارويث، سنأتي وستعدّين هيستنغز أحد أقربائك من بعيد، أما أنا فصديقه الأجنبي ذو الأطوار الشاذة. وإلى أن نلتقي أرجو ألا تأكلي غير الطعام الذي تعدينه بنفسك أو الذي يحضَّر أمامك، هل لديك خادمة تثقين فيها؟

- جيسي، وهي موضع ثقتي الكاملة.

وردّ بوارو قائلاً: تذرعي بالشجاعة يا سيدتي إلى أن نلتقي في الغد.

ورافق بوارو السيدة إلى الباب ثم عاد مستغرقاً في التفكير، والتفت نحوي قائلاً: ما رأيك في هذه القضية يا هيستنغز؟

- أستطيع أن أقول إنها لعبة قذرة.

- نعم، مع أن شكوك السيدة لها أساس من الصحة، ولكن هل الأمر كذلك؟ اللوم ينصب على رأس كل زوج يطلب شراء مبيد الأعشاب في مثل هذه الأيام، فإذا شكَتْ زوجةٌ من التهاب في المعدة ساورها الشك في أنه يفكّر في التخلص منها بالسم.

قلت: أهذا هو رأيك؟

- في الواقع لا أدري يا عزيزي، إلا أن القضية تستهويني. قل لي يا هيستنغز: ما رأيك في مشاعر السيدة بنجيللي تجاه زوجها؟

- أعتقد أنها فريسة صراع بين الولاء والخوف.

- عادة تتهم الزوجة أيّ إنسان في ما عدا زوجها، وتبقى مصرّة على الولاء له حتى آخر نفس.

- ولكنّ السيدة الأخرى تزيد الموقف تعقيداً.

قال بوارو: نعم، يمكن أن يتحول الحبّ إلى كراهية حين تشعر الزوجة بالغيرة، إلا أن الكراهية تدفعها إلى الشرطة وليس إليّ؛ لأنها تريد -حينئذٍ- نشر الفضيحة. كلا، كلا، فلنستخدم عقولنا. لماذا جاءتني؟ لكي تثبت أن شكوكها خاطئة؟ أم لتثبت صحتها؟ آه، أمامنا نقطة تحتاج إلى تفسير، عامل خفي... هل كانت السيدة بنجيللي ممثلة قديرة؟ كلا، فهي أقرب إلى السذاجة... لهذا كان اهتمامي بالقضية، أرجوك أن تلقي نظرة على جدول مواعيد القطارات.

* * *

كان أنسب قطار في النهار ذلك الذي يغادر محطة بادنجتون في الواحدة وخمسين دقيقة، ويصل إلى بولجارويث في السابعة. ومرّت الرحلة بسلام، وحملنا حقائبنا عند وصولنا إلى فندق داتشي، وبعد تناول عشاء

خفيف اقترح عليّ بوارو أن أقوم بزيارة لقريبتي المزعومة.

كان منزل بنجيللي يبعد قليلاً عن الطريق العمومية، في مقدمته حديقة تفوح منها رائحة زكية لا تتناسب مع قصة العنف التي سمعناها من قبل. وقرع بوارو الجرس وطرق على الباب، ففتحت لنا خادمة مشعثة محمرّة العينين وهي تنشج بالبكاء بعنف.

قال لها بوارو: نريد أن نقابل السيدة بنجيللي، هل نستطيع الدخول؟

فحملقت الخادمة في وجهه لبرهة، ثم قالت: ألم تسمع الخبر إذن؟ لقد ماتت... ماتت هذا المساء منذ نصف ساعة.

عقدت الدهشة لساننا. وتابعت الخادمة تقول: لو لم يتطلب الموقف بقاء أحد مع السيدة لحزمت أمتعتي ورحلت في هذه الليلة، ولكنني لا أستطيع أن أتركها ميتة بلا وجود أحد بقربها. وربما لا يسمح وضعي بأن أتكلم، وقد استقرّ رأيي على أن أحبس لساني ولا أقول شيئاً، ولكنّ الجميع يعرف... الخبر معروف للجميع في البلدة، وإذا لم يكتب السيد راندور تقريراً للسلطات المختصة فسوف يفعل غيره. يستطيع الطبيب أن يقول ما يشاء... ألم أشاهد الطبيب بنفسي وهو يمسك زجاجة مبيد الأعشاب في هذا المساء؟ ألم يقفز مذعوراً عندما تنبّه إلى أنني رأيته؟ هذا طعام السيدة ما يزال موضوعاً على المائدة.

فسأل بوارو: أين الطبيب الذي كان يقوم بعلاجها؟

– الدكتور آدامز، في الركن المواجه للطريق العمومية، المنزل الثاني.

واستدار بوارو شاحب الوجه. وعندما ابتعدنا عن المنزل قلت له: بالنسبة إلى فتاة قرّرت ألاّ تتكلم، ألم تلاحظ أنها قالت الشيء الكثير؟

قال بوارو بعصبية: مجرم قذر، مجرم قذر... هذا هو ما كنتُه يا هيستنغز! بالغت في قدرتي على الاعتماد على العقل، وها قد تسببت في إزهاق روح بشرية، روح كان بالإمكان إنقاذها. لم أتصور قط أن يحدث شيء بمثل هذه السرعة... أرجو من الله أن يغفر لي، كنت أتخيّل قصتها ملفقة. ها قد وصلنا إلى بيت الطبيب، لنستمع إلى ما يقوله لنا.

* * *

كان الدكتور آدامز صورة تقليدية عن طبيب الريف ذي الوجه الأحمر، واستقبلنا بأدب شديد، ولكن وجهه سرعان ما ازداد احمراراً حين علم سبب زيارتنا، وقال بامتعاض: مجرّد تخريف، مجرّد تخريف... كل الكلام لا أساس له من الصحة. ألم أكن الطبيب المعالج لها؟ مجرّد التهاب في المعدة، هذه البلدة فيها الكثير من الإشاعات، نساء ثرثارات يجتمعن لاختراع الأكاذيب والحديث عمّا نشرته الصحف من أنباء مثيرة، وهنّ يقرأن تلك الأخبار ويخترعن قصة دس السم لإحدى الزوجات. وحين يرين قنينة مبيد الأعشاب

على أحد الرفوف يتخيلن ما لا وجود له. أنا أعرف إدوارد بنجيللي؛ فهو لا يستطيع أن يسمّم كلب جدته، ولماذا يسمم زوجته؟ هل تستطيع أن تذكر لي السبب؟

- ربما يكون هنالك سبب لا تعرفه يا سيدي الطبيب.

راح بوارو يقص عليه الحقائق التي عرفها من السيدة بنجيللي. وأصيب الطبيب بدهشة بالغة، وتمتم قائلاً: فليسامحني الله، لا شكّ في أن العجوز قد أصيبت بالجنون! لماذا لم تخبرني بذلك؟ ألم يكن هذا هو التصرف السليم؟

ردّ عليه بوارو بقوله: لتقابَل بالسخرية؟

فقال الطبيب: أبداً؛ فأنا رجل متفتح الذهن.

ونظر إليه بوارو باسماً. لقد قال الطبيب إن الأمر كان التهاباً في المعدة ولن يتنازل عن رأيه، وبالرغم من هذا فقد كان القلق يساوره.

وعندما تركنا الطبيب سألت بوارو: ما الخطوة التالية؟

- نعود إلى الفندق ونتحمل مشقة المبيت في واحد من فنادقهم الريفية.

- وغداً؟

- ليس أمامنا ما نفعله. يجب أن نعود إلى المدينة ونراقب تطور الأحداث.

قلت له باستياء: وإذا لم يحدث شيء؟

فقال بوارو بعصبية: أؤكّد لك أن أحداثاً كثيرة ستقع... يستطيع الطبيب أن يصدر ما يشاء من الشهادات ولكنه لا يستطيع أن يمنع ألسنة الناس من الحديث.

* * *

قبل أن نغادر البلدة في الصباح قرّر بوارو زيارة فريدا ستانتون، ابنة أخت الزوج. ولم نجد صعوبة في العثور على مسكنها، وكان معها شاب طويل قدمته لنا على أنه السيد جاكوب راندور.

كانت الآنسة فريدا ستانتون شابة جميلة سوداء الشعر والعينين، وقالت: لقد كان أمراً مؤسفاً للغاية، لقد شعرت بالأسى الشديد وتمنيت لو أنني تعاملت معها بطريقة أفضل.

وتدخل راندور في الحديث قائلاً: لقد صبرت عليها طويلاً يا فريدا.

فقالت فريدا: نعم يا جاكوب، ولكنني كنت حادة الطباع. أنا أعرف أنها كانت حماقة منها... مجرّد تفكيرها في أن زوجها يدس لها السم، وكانت حالها تزداد سوءاً عقب كل وجبة تتناولها من يد زوجها، ولكنني واثقة من أنها كانت تتخيل ذلك.

فسأل بوارو قائلاً: ما الأسباب التي أدّت إلى الخلاف بينكما يا آنسة؟

وترددت الآنسة ستانتون لبرهة وهي تنظر إلى راندور، ثم سارع الشاب بقوله: يجب أن أنصرف الآن يا فريدا، سأراك في المساء. وداعاً أيّها السادة، أأنتم ذاهبون إلى المحطة؟

فابتسم بوارو وهو يرد عليه بالإيجاب، ومضى راندور لحال سبيله.

قال بوارو لفريدا: أأنتما مخطوبان؟

فاحمرّ وجه الفتاة ثم قالت: وهذا هو سبب المتاعب كلها مع زوجة خالي.

سأل بوارو: هل كان رأيها أن الخطيب لا يناسبك؟

- آه، لم يكن الأمر كذلك، ولكن... ولكنها...

وتوقفت الفتاة عن الحديث، فقال بوارو مشجعاً: نعم؟

- الكلام في هذا الموضوع بشع، بخاصة بعد موتها، ولكنك لن تستطيع أن تفهم الموضوع ما لم أشرحه لك. لقد كانت زوجة خالي مفتونة بجاكوب.

- حقاً؟

- نعم، ألم تكن تلك حماقة؟ كانت قد تجاوزت الخمسين بينما جاكوب لم يتعدّ الثلاثين من عمره. كانت مجنونة بحبه، واضطررت -آخر الأمر- لأن أخبرها بأنه يأتي لأجلي أنا إلا أنها أبت أن تصدق وبدأت تعاملني بخشونة إلى أن فقدت أعصابي، وتحدّثت في الأمر مع جاكوب

فاتفقنا على أن تعود زوجة خالي إلى صوابها.

وردّ بوارو بهدوء قائلاً: شكراً لك يا آنسة على المعلومات المفيدة التي زودتِني بها.

ولدهشتي وجدت راندور ينتظرنا في الخارج، وقال: أستطيع أن أضمن ما قالته لكم فريدا. كان من سوء الحظ أن يحدث شيء كهذا، وكان موقفي حرجاً كما يمكن أن تتخيلوا. لست في حاجة إلى أن أقول أنني لم أسعَ إلى حدوث ما حدث... كنت مسروراً في البداية؛ فقد تصورت أن السيدة العجوز تمهد لي الطريق مع فريدا.

فسأله بوارو: متى تنويان الزواج؟

- عاجلاً. يجب أن أكون صريحاً معك يا سيد بوارو، أنا أعلم أكثر مما تعلمه فريدا، فهي تعتقد أن خالها بريء ولكنني لست واثقاً من ذلك، وأستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً: سألتزم الصمت ولا أبوح بمعلوماتي، لا أريد لخال زوجتي أن يتعرض للمحاكمة والشنق.

فنظر إليه بوارو بهدوء وقال: لماذا تخبرني بهذه المعلومات كلها؟

فقال السيد راندور: لأنني سمعت عنك وأعلم أنك رجل ذكي، فمن المحتمل أن تقيم دعوى عليه. ولكنني أسألك: ما جدوى ذلك؟ لقد ماتت المرأة المسكينة وانتهى الأمر، وكانت آخر من يريد نشر الفضيحة، وسوف تتململ

في قبرها لمجرد التفكير في تحريك هذا الموضوع.

هزّ بوارو كتفيه ببطء، ثم قال: ربما كنتَ محقاً في هذا. أنت تريد مني السكوت؟

- هذا هو رأيي، يجب أن أعترف بأنني أتألم عندما أفكر في الموضوع على هذا النحو. أنا ناجح في علمي كخياط ومصمم أزياء، فلن أعرّض سمعتي للكلام الزائد.

- معظمنا أناني يا سيد راندور، إلا أن القليل منا يعترف بذلك صراحة. سأفعل ما تطلبه مني إلا أنني أقول لك بصراحة: لن تنجح في إسكات أصوات الآخرين.

فقال مستغرباً: لماذا؟

وكان ذلك يوم السوق في البلدة، فأشار بوارو بإصبعه نحو الناس قائلاً: صوت الشعب... هذا هو السبب يا سيد راندور. بعد إذنك الآن، سنضطر للركض لكي نلحق بالقطار.

* * *

عندما بدأ القطار يتحرّك قال بوارو: قضية مسلية للغاية، أليس كذلك يا هيستنغز؟

وأخرج مشطاً ومرآة صغيرة وراح يهذّب شاربه الذي اختل نتيجة لعدونا، وأجبته قائلاً: هل ترى الأمر كذلك؟ أما أنا فأراه كئيباً ومحزناً. ليس هناك أيّ غموض في هذه القضية.

- أتفق معك في هذا، لا يوجد غموض.

وقلت له: أعتقد أننا نستطيع أن نتقبل القصة التي روتها فريدا بالرغم من غرابتها، فقد كانت لطيفة ومحترمة.

- لا يوجد شذوذ في ذلك، بل هو أمر عادي. لو قرأت الصحف بعناية لعثرت على العديد من القصص لزوجات محترمات يتركن أزواجهن بعد عشرين عاماً ليرتبطن بالحياة مع شاب أصغر بكثير، وقد تترك الزوجة زوجها وحفنة من الأبناء... أنت تعجب بالنساء يا هيستنغز وتستعد للركوع أمام كل سيدة حسناء تنظر إليك بابتسامة، ولكنك -من الناحية السيكولوجية- لا تعلم عنهن شيئاً قط؛ ففي خريف عمر أي سيدة تأتي لحظة جنون تتوق فيها إلى المغامرات العاطفية قبل أن يفوت الأوان.

- وهل تعتقد...؟

فردّ بوارو بقوله: الرجل الذكي ينتهز هذه الفرصة السانحة.

قلت له بانفعال: لا أستطيع أن أعدّ السيد بنجيللي رجلاً ذكياً، ومع هذا أعتقد أنك على حق. الرجلان الوحيدان اللذان يعرفان شيئاً هما راندور والطبيب، وكلاهما يريد للموضوع أن يتوارى في طيّ الكتمان. لقد دبر الأمر على هذا النحو... كنت أتمنى لو قابلنا الطبيب.

قال بوارو بلهجة أقرب إلى السخرية: تستطيع أن تعود بالقطار التالي مدّعياً أنك تشكو من وجع من أحد أضراسك.

التفتّ نحوه قائلاً: أريد أن أعرف السبب الذي يدفعك إلى أن تعدّ القضية مسلية.

فقال بوارو: ملاحظة عابرة سمعتها منك يا عزيزي هيستنغز، فعندما قابلنا الخادمة لاحظتَ أن الفتاة وعدت ألاّ تتكلم، وقد قالت الشيء الكثير.

قلت له بارتياب: آه، أنا مندهش؛ فأنت لم تحاول مقابلة الطبيب.

- يا صديقي العزيز، سأمهله ثلاثة أشهر فحسب، وسأراه -كما يحلو- لي في القفص.

* * *

في تلك اللحظة تصورت أن الأيام ستثبت خطأ ما تنبّأ به بوارو. ومرّت الأيام من غير أن يظهر جديد في القضية، وانشغلنا بأمور أخرى حتى نسيت قضية السيد بنجيللي. وفجأة عادت القضية إلى الظهور على صفحات الجرائد التي أشارت إلى أن قراراً صدر باستخراج الجثة من القبر وتشريحها.

احتلت أخبار القضية مكانها في الصفحات الأولى من الصحف لأن الناس لم يكفوا عن الكلام، ولكن الهمسات سرعان ما تحوّلت إلى الكلام الصريح عندما أعلن طبيب الأسنان خطبته لسكرتيرته الآنسة ماركس، وأُرسل التماسٌ إلى السلطات المختصة لإعادة التحقيق في موت السيدة بنجيللي، وتقرر استخراج الجثة من القبر وتشريحها.

وأسفر التشريح عن اكتشاف كميات كبيرة من الزرنيخ، ثم صدر الأمر باعتقال السيد بنجيللي؛ إذ وُجّهت إليه تهمة قتل زوجته.

وحضرت أنا مع بوارو الجلسات الأولى للمحاكمة، وقرر الدكتور آدمز –عند استدعائه للشهادة- أن أعراض التسمم بالزرنيخ يمكن أن يشخّصها الطبيب على أنها التهاب في المعدة. وقالت الخادمة جيسي في التحقيق كل ما لديها مما زاد من سوء موقف السجين. وأضافت فريدا ستانتون أن حال زوجة خالها كانت تزداد سوءاً في كل مرة تتناول فيها الطعام الذي يقدّمه إليها زوجها. وذكر جاكوب راندور أنه وصل إلى البيت في اليوم الذي ماتت فيه السيدة بنجيللي، وشاهد بنفسه الزوج يعيد زجاجة المبيد إلى الرف. وبكت الآنسة ماركس حينما استُدعيت لتدلي بشهادتها، واعترفت بأنه كان يوجد استلطاف بينها وبين مخدومها وقد وعدها بالزواج في حال حدوث شيء لزوجته. وأصرّ السيد بنجيللي على الاحتفاظ بدفاعه عن نفسه إلى أن يُقدَّم إلى المحاكمة النهائية.

ورافقَنا جاكوب راندور ونحن في الطريق إلى البيت، فسأله بوارو قائلاً: أنت ترى -يا سيد راندور- أنني كنت على حق؛ لقد تكلم الشعب بصوت مرتفع ولم يستطع أحد أن يخمد صوته.

فتنهد راندور بعمق ثم قال بأسى: أنت محق في هذا، هل تعتقد أن أمامه أدنى أمل في الإفلات؟

قال بوارو: حسناً، لقد أصرّ على الاحتفاظ بدفاعه، ومن يدري لعلّ لديه شيئاً يخفيه. ما رأيك في أن تأتي معنا إلى المنزل؟

قَبِلَ راندور الدعوة، وأحضرت ثلاثة أكواب من الكاكاو في حين استأنف بوارو حديثه قائلاً: لديّ خبرةٌ طويلة في مثل هذه المسائل، ولا أرى إلا فرصة وحيدة أمام الزوج.

فسأله راندور قائلاً: وما تلك الفرصة؟

- أن توقّع على هذه الورقة.

وأخرج بوارو ورقة عليها بعض الكتابة، واستفهم راندور بذعر عن الورقة فقال بوارو: إنها اعتراف منك بأنك قتلت السيدة بنجيللي.

خيّم الصمت لبرهة، ثم أطلق راندور ضحكة مدوية وقال: لا شكّ في أنك قد جُننت!

- كلا يا صديقي، لست مجنوناً. لقد جئتَ إلى هذه البلدة لتبدأ عملاً صغيراً، ولم يكن معك ما يكفي من المال ورأيت السيد بنجيللي على قدر من الثراء، ثم التقيت بابنة أخته التي قابلتك بابتسامة عذبة، وفكّرت في أن المبلغ الضئيل الذي سوف يمنحه لابنة أخيه عند زواجها ليس كافياً لك، ففكّرت في التخلص من الرجل وزوجته لكي يؤول المال لفريدا لكونها الوريثة الوحيدة لخالها. كانت خطة ذكية، فأوهمت السيدة العجوز أنك تحبها حتى أوقعتَها

في شباكك وأصبحَتْ ألعوبة بين يديك، ثم زرعتَ في ذهنها الشك في زوجها لتظن أنه يخونها مع سكرتيرته، حتى اعتقدت -بناءً على الشكوك التي أثرتها لديها- أن زوجها يحاول قتلها بالسم. كنت تتردد على البيت بصفة منتظمة، ومن ثَمّ كانت لديك الفرصة المتاحة لدسّ السم في طعامها، ولكنك كنت حريصاً على ألا تفعل ذلك عندما يكون الزوج خارج البيت. ووفقاً لطبيعتها كامرأة لم تستطع أن تحتفظ بالشكوك لنفسها، فتحدّثَتْ مع ابنة أخت زوجها، ولا شكّ في أنها صارحت بعض النساء الأخريات بشكوكها. كانت المشكلة الوحيدة التي تواجهك هي كيف تحتفظ بعلاقة مستقلة مع كل واحدة من المرأتين، ولكنّ المشكلة لم تكن على قدر كبير من الصعوبة؛ فقد قلت للزوجة إنك في سبيل أن تتجنب شبهات الزوج ستقنعه بأنك على علاقة بابنة أخته الشابة، ولم تكن الشابة في حاجة إلى إقناع؛ لأنها لم تكن تنظر إلى زوجة خالها كغريمة لها.

ولكن السيدة بنجيللي قررت -في النهاية- أن تستشيرني في الأمر من غير أن تخبرك، ولو كانت واثقة من أن زوجها يحاول أن يسممها لعثرت -في تلك الحال- على ذريعة تبرر هجرها إيّاه لترتبط بك؛ لأنها كانت تتخيل أن هذه هي رغبتك، ولكن هذا الحل لم يكن يناسبك بالمرة؛ فأنت لا تريد لمخبر أن يتدخل في المسألة. وجاءتك الفرصة المناسبة، فقد كنت في البيت في الوقت الذي يجهز فيه الزوج طعاماً لزوجته، وانتهزت الفرصة لتدسّ السم في

الطعام. أما الباقي فأمره سهل، تُظهر أنك تريد للقصة أن تسكت ولكنك تحرّك الأمور في الخفاء... ولكنك لم تضع في ذهنك أن هيركيول بوارو يمكنه أن يتدخل!

امتقع وجه راندور حتى حاكى وجوه الموتى، إلا أنه حاول التظاهر بالهدوء، وتمتم قائلاً: هذه قصة مسلية للغاية، ولكن لماذا تخبرني بذلك كله؟

- لأنني لا أمثّل القانون يا سيدي، بل أمثل السيدة بنجيللي. إنني أفعل ذلك من أجلها وأمنحك فرصة للهرب. وقّع على هذه الورقة، وسوف تكون أمامك أربع وعشرون ساعة قبل أن أضعها بين يدي الشرطة.

تردد راندور لبرهة ثم قال: لا تستطيع أن تقيم الدليل على شيء.

- ألا أستطيع؟ أنا هيركيول بوارو. ألقِ نظرة من النافذة وسترى رجلين في الشارع لديهما تعليمات بأن يتبعاك كظلك.

اقترب راندور من النافذة وأزاح الستار جانباً، ثم تراجع في وجل، وقال بوارو: هل تأكدت؟ وقّع على الاعتراف؛ فهذه هي فرصتك الأخيرة.

- وما الضمانات التي تتوافر لي؟

- كلمة الشرف التي تسمعها من هيركيول بوارو. هل توقّع الآن؟ هذا حسن، والآن يا هيستنغز أرجوك أن ترفع النصف الأيسر من الستار؛ هذه هي الإشارة المتفق عليها

لكي ينصرف السيد راندور من غير أن يتعرض له أحد.

تسلل راندور من الغرفة كالفأر المذعور، وحين اختفى عن الأنظار قال بوارو: جبان، كنت أعلم أنه جبان.

- يظهر لي -يا بوارو- أنك قد تصرفت بأسلوب إجرامي. كنت تحدّثني دائماً عن ضرورة الابتعاد عن العواطف، وها أنت تسمح لقاتل شرير بأن ينجو من العقاب تحت ستار من المشاعر العاطفية.

- لم تكن مشاعر عاطفية بل تصرّفاً عملياً. ألا ترى -يا صديقي- أننا لا نملك دليلاً مادياً يدينه؟ هل يكفي أن أصرخ في وجوه الناس قائلاً: أنا هيركيول بوارو واثق من إدانته؟ لا شكّ في أنهم كانوا سيسخرون مني، ومن ثم كانت الوسيلة الوحيدة أن أثير الرعب في قلبه وأدفعه إلى توقيع الاعتراف بهذا الأسلوب. أما بالنسبة إلى الرجلين اللذين في الخارج فقد لاحظت أنهما يتسكعان في الطريق وأردت أن أفيد منهما. أسدل الستارة الآن يا هيستنغز فقد أدت دورها. حسناً، ألم أخبر راندور بأنني سأمنحه أربعاً وعشرين ساعة؟ ربما كان ذلك وقتاً طويلاً للسيد بنجيللي، ولكنّه يستحق هذا العقاب جزاء خيانته زوجته؛ أنت ترى -يا هيستنغز- أنني شديد التعاطف مع الحياة الزوجية النظيفة. آه، أربع وعشرون ساعة، ثم ماذا؟ أنا شديد الثقة في قدرة اسكتلنديارد... سوف يلقون القبض عليه بالتأكيد يا صديقي، لن يفلت من قبضتهم.

* * *

الفدية

أعتقد أنها كانت المرة السادسة التي قالت فيها السيدة ويفرلي: تستطيع أن تقدر مشاعري كأم.

ونظرت إلى بوارو متوسلة. كان صديقي يتعاطف دائماً مع الأمهات في أوقات المحن، وقال لها بعطف: نعم، نعم، أقدّرها كل التقدير؛ ضعي ثقتك في بابا بوارو.

وتدخل السيد ويفرلي في الحديث قائلاً: لا أريد من الشرطة أن تتدخل في هذا الأمر، يكفي أننا أولياهم ثقتنا وهذه هي النتيجة. ولكنني سمعت الشيء الكثير عن السيد بوارو والأشياء العظيمة التي قام بها، لذلك فكرت في المجيء إليه لعلّه يساعدنا.

كانت السيدة ويفرلي ابنة أحد أكبر أصحاب مصانع الصّلب الذي شقّ طريقه في العمل منذ كان صبياً حتى تربع فوق القمة، أما السيد ويفرلي فكان ضخم الجسم مرحاً، وقال: أعتقد أنك تعرف تفصيلات القصة يا سيد بوارو.

لم يكن للسؤال مسوغ لأن الصحف كانت قد نشرت –منذ عدة أيام– قصة اختطاف ابن جوني ويفرلي الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات ووريث أملاك عائلة ويفرلي، إحدى أعرق العائلات الإنجليزية.

قال بوارو قائلاً: أعرف الحقائق الرئيسية بالطبع، ولكن أرجو أن تروي القصة بنفسك بكل دقة.

فأجاب السيد ويفرلي بقوله: حسناً، تبدأ القصة منذ نحو عشرة أيام حين تلقيت خطاباً من مجهول يطالبني فيه مرسله بأن أدفع له خمسة وعشرين ألف جنيه. تصوّر يا سيد بوارو، خمسة وعشرين ألف جنيه! وهدّدني في حال الامتناع عن الدفع باختطاف ابني جوني، فألقيت الخطاب بالطبع في سلة المهملات لكون الأمر لا يعدو أن يكون مزاحاً سخيفاً. ثم تلقيت بعد ذلك بخمسة أيام خطاباً آخر يقول: "إن لم تدفع المبلغ المطلوب فسأختطف ابنك في يوم التاسع والعشرين من هذا الشهر". والخطاب وصلني في يوم السابع والعشرين، فانزعجت كثيراً ولكنني لم آخذ الأمر على محمل الجد. تباً! نحن في إنكلترا ولا أحد يخرج لاختطاف الأطفال للمطالبة بفدية.

قال بوارو: ليس هذا بالأمر المألوف، نعم. استمر يا سيدي.

- حسناً؛ لم تتركني هذه الرسائل في سلام، ومن ثم وضعت الأمر بين يدي اسكتلنديارد. وقد قابلوا الأمر باستخفاف في بادئ الأمر على أنها مزحة سخيفة، إلا أنني تلقيت رسالة ثالثة في يوم الثالث والعشرين تقول: "أنت لم تدفع، سنختطف ابنك في الثانية عشرة من ظهر الغد الموافق ٢٩، وسيكلفك استرداده خمسين ألف جنيه". فأسرعت إلى اسكتلنديارد، واهتموا بالموضوع في هذه المرة، وكان

من رأيهم أن مرسل الخطابات شخص معتوه ولكنهم قالوا إنهم سوف يتخذون الاحتياطات اللازمة في حال تفكير هذا المجنون في تنفيذ وعيده، ووعدوني بأنهم سيرسلون إلى القصر المفتش ماك نيل ومعه قوة كافية من رجال الشرطة.

وعدت إلى البيت مستريح البال، إلا أن الشعور بفرض حصار حول القصر كان يزعجني، وقد أصدرت أوامري بعدم السماح لأيّ غريب بالدخول وعدم خروج أحد من القصر. ومرّ الليل من غير حدوث شيء، إلا أن زوجتي شعرت بوعكة شديدة في الصباح فطلبت لها الدكتور ديكرز الذي أعرب عن دهشته لأعراض المرض، وفي الوقت الذي وجدته متردداً في القول بأنه يشك في تسمم أدركت أن هذا ما يجول في خاطره فعلاً. وقال الطبيب في النهاية إنه لا يوجد خوف حقيقي وإن الحال ستتحسن في غضون يوم أو يومين. وعندما عدت إلى غرفتي أصابني الفزع حين وجدت رسالة موضوعة على وسادتي، كانت مكتوبة بالخط نفسه الذي كتبت به الرسائل الثلاث السابقة وفيها: "في الثانية عشرة".

أعترف -يا سيد بوارو- بأنني شعرت بالدُّوار؛ فقد أدركت أن شخصاً في داخل القصر يشارك في هذه اللعبة، واحد من الخدم. فأرسلت في طلب جميع الخدم واستجوبتهم واحداً بعد الآخر من دون نتيجة، وأخبرتني الآنسة كولينز وصيفة زوجتي بأنها شاهدت مربية الطفل تخرج من القصر في ساعة مبكرة من ذلك الصباح، وحين

واجهت المربية بهذه الحقيقة انهارت وأخبرتني بأنها تركت الطفل مع إحدى الخادمات وخرجت لتلتقي بصديق لها، ولكنها أنكرت وضع الرسالة فوق الوسادة. ربما تكون قد ذكرت الحقيقة، مَن يدري؟ على أية حال قررت عدم المخاطرة إذ كنت واثقاً من أن أحد الخدم مشترك في تدبير الجريمة... فقدت صوابي وقررت فصل جميع الخدم، المربية والجميع، وأمهلتهم ساعة ليحزموا أمتعتهم ويغادروا القصر.

وازداد احمرار وجه السيد ريفرلي وهو يتذكر هذه الواقعة. قال بوارو بتمهل: ألم تكن مخاطرة يا سيدي؟ ألم تكن تترك نفسك لقمة سائغة للعدو بهذا التصرف؟

فحملق السيد ويفرلي في وجهه بدهشة، ثم قال: لا أرى هذا الرأي؛ لأنني طلبت من مكتب الخدمة في لندن إرسال مجموعة كاملة من الخدم الجدد تصلني في المساء، على أن تبقى –في الوقت نفسه- المجموعة التي أثق فيها، وهي سكرتيرة زوجتي الآنسة كولينز وتريدويل خادمي الخاص الذي كان في خدمتي منذ طفولتي.

سأل بوارو: وهذه الآنسة كولينز، منذ متى التحقت بخدمتك؟

- منذ عام تقريباً، وهي مديرة بيت ممتازة.

- والمربية؟

- جاءتني منذ ستة أشهر ومعها شهادات ممتازة، وبالرغم من أنني لم أكن أشعر نحوها بالميل إلا أن الطفل كان شديد التعلق بها.

فسأل بوارو بهدوء قائلاً: ومع هذا فقد غادرت القصر قبل حدوث الكارثة، أرجوك أن تستمر يا سيد ويفرلي.

استأنف السيد ويفرلي قصته قائلاً: وصل المفتش ماك نيل في منتصف الحادية عشر، وكان الخدم قد رحلوا، وأعرب عن ارتياحه للإجراء الذي قمت به ووزّع رجاله في الحديقة المحيطة بالقصر وفرض حراسة على المنافذ المؤدية إلى المكان، وأخبرني بأنه إذا لم يكن الأمر مجرد مزاح فسوف يمسك بمرسل الخطابات المجهول. لقد كان جوني معي، وكان المفتش معنا في الغرفة التي نطلق عليها غرفة الاجتماعات. أغلق المفتش الباب بالمزلاج، وكانت معلقة على الحائط ساعة كبيرة قديمة تشير عقاربها إلى اقتراب منتصف الظهر، وحينما أعلنت الساعة الثانية عشرة احتضنت جوني وتعلقت به خوفاً من أن يهبط شخص من السماء ويختطفه مني، وحين انتهت الدقة الأخيرة سمعت ضجة شديدة في الخارج وصراخاً. وفتح المفتش النافذة ورأينا أحد رجال الشرطة يقبل نحونا لاهثاً ويقول: لقد أمسكنا به يا سيدي، كان يتسلل بين الأعشاب.

وأسرعنا إلى الشرفة لنرى رجلين من الشرطة يقبضان على شخص رثّ الملابس وهو يحاول أن يتملص من قبضتهما. وكان أحد الشرطيين يمسك في يده اللفافة التي

أخذها من الأسير، وكانت تضم قطعة من القطن وقنينة كلوروفورم. كاد دمي أن يتبخر عند رؤيتي المنظر، وكانت معه رسالة جديدة موجهة لي تقول: "كان من الأفضل لك أن تدفع. ستكلفك الفدية الآن خمسين ألف جنيه، وبالرغم من احتياطاتك كلها سيُختطف ابنك في التاسع والعشرين كما أخبرتك من قبل". فأطلقت ضحكة عالية، ضحكة ارتياح... إلا أنني سمعت -في تلك اللحظة- صوت محرّك سيارة وصرخة، فأدرت رأسي نحو مصدر الصوت وشاهدت سيارة رمادية اللون تنطلق مبتعدة، وكان السائق هو الذي أطلق الصرخة. شعرت بالهلع لأن ابني –بشعره الكستنائي- كان يجلس بجانب السائق. وصرخ المفتش قائلاً: لقد كان الطفل بجانبي منذ لحظات! وجال ببصره يستعرضنا الواحد تلو الآخر؛ أنا وتريدويل والآنسة كولينز، وقال لي: متى رأيته آخر مرة يا سيد ويفرلي؟

وحاولت أن أتذكر في اللحظة التي نادانا فيها أحد رجال الشرطة، أسرعت إليه مع المفتش وقد نسينا كل شيء عن جوني، وسمعنا –بعد ذلك- صوتاً أفزعنا، دقات ساعة الكنيسة تعلن الثانية عشرة. وأخرج المفتش ساعته ووجدها الثانية عشرة، وأدركت أن ساعة الحائط قد دقّت قبل منتصف الظهر بعشر دقائق، ولم يحدث في تاريخها الطويل أن قدّمت أو أخرّت... مما يعني أن أحدهم قد قدّم عقارب الساعة عشر دقائق!

وسكت السيد ويفرلي لبرهة، في حين ابتسم بوارو

ابتسامة غامضة ثم قال بصوت منخفض: مشكلة صغيرة غامضة، ولكنها ممتعة. سأتولّى هذه القضية بكل سرور، لقد دُبّرت الخطة بإحكام بالغ.

وصرخت السيدة ويفرلي: ولكن ابني...

فالتفت بوارو إليها قائلاً: ابنك في أمان يا سيدتي؛ ثقي أنه لن يتعرض لأيّ أذى لأن مختطفيه سيولونه أقصى قدر من الرعاية، فهو بين أيديهم بمثابة الإوزة التي تبيض ذهباً.

فأجابت قائلة: ليس هناك سوى حلٍّ واحد يا سيد بوارو؛ وهو أن ندفع الفدية. أنت تعلم مشاعر الأم.

قال بوارو: ولكننا قاطعنا السيد ويفرلي ولم ندعه يكمل القصة.

فقال السيد ويفرلي: أعتقد أنك تعلم بقية القصة مما نشرته الصحف؛ فقد سارع المفتش ماك نيل بالطبع إلى الهاتف وأعطى رجال الشرطة وصفاً دقيقاً للسيارة الرمادية وسائقها، ولاح لنا أن كل شيء يسير على ما يرام، فقد شوهدت بالفعل سيارة رمادية تنطبق عليها الأوصاف يركب بجانب سائقها طفل كستنائي الشعر، ومرّت السيارة بعدة قرى في طريقها إلى لندن، وشاهد الناس الطفل يبكي حين توقفت السيارة في أحد الأماكن، ومن الواضح أنه كان خائفاً من رفيقه في الرحلة. وتنهدت بارتياح حين أخبرني المفتش بأن السيارة قد ضُبطت وحُجز السائق والطفل. وأنت تعلم بقية القصة... لم يكن الطفل ابني، وكان سائق

السيارة شخصاً مولعاً بالأطفال فالتقط طفلاً يلعب في شوارع آيدنزويل ليركب معه. شكراً لرجال الشرطة فقد تسبّبوا في فقد آثار السيارة الحقيقية، فلو اقتفوا أثر السيارة الحقيقية لكان الطفل معنا الآن.

قال بوارو: اهدأ يا سيدي، رجال الشرطة شجعان وأذكياء وهم بشر يخطئون، فضلاً عن أن خطة الاختطاف كانت محكمة. أما بالنسبة إلى الشخص الذي أمسكوا به في الموقع فأذكر أنه أعلن أن رجلاً سلمه اللّفافة وأعطاه عشرة شلنات طالباً منه أن يسلم الرسالة في الثانية عشرة إلا عشر دقائق، وطلب منه أن يتجه نحو الباب الجانبي للقصر ويطرقه.

قالت السيدة ويفرلي باستياء: لا أصدق حرفاً واحداً من كلامه، كان حديثه سلسلة من الأكاذيب.

قال بوارو مفكراً: كانت روايته واهية في الواقع.

قال السيد ويفرلي: كان الرجل وقحاً، فقد ذكر أنه تعرّف على تريدويل لأنه هو الشخص الذي سلمه اللّفافة في ما عدا أنه أزال شاربه... تريدويل الذي وُلد في ضيعة الأسرة!

فابتسم بوارو ابتسامة واهنة وهو يقول: ومع هذا فأنت تشك في اشتراك شخص من داخل المنزل في الاختطاف؟

أجاب بهدوء: نعم، ولكن ليس تريدويل.

وتوجه بوارو نحو السيدة قائلاً: وأنت يا سيدتي؟

- إذا كان الشخص قد تسلم اللّفافة والرسالة حقاً من أحد (وهو ما أشك فيه) وأنه تسلمها في العاشرة صباحاً، فقد كان تريدويل مع زوجي في تلك اللحظة.

وسأل بوارو قائلاً: هل رأيت وجه قائد السيارة يا سيدي؟ هل كان شبيهاً بتريدويل؟

- كان على مسافة بعيدة لا تمكنني من رؤيته.

- هل تعلم إن كان لتريدويل إخوة؟

ردّ السيد ويفرلي قائلاً: له بضعة إخوة إلا أنهم ماتوا جميعاً... قُتل آخرهم في الحرب.

سأل بوارو بهدوء قائلاً: ليست لدي فكرة واضحة عن قصر ويفرلي. كانت السيارة تتجه نحو الجنوب، هل يوجد مدخل آخر للقصر؟

- نعم، ونحن نطلق عليه المدخل الشرقي، ويمكن أن يرى من الجانب الآخر للقصر.

فتمتم بوارو بقوله: يدهشني أن أحداً لم يرَ السيارة وهي تقترب من الموقع.

- هناك طرق طويلة بامتداد الموقع حيث توجد كنيسة صغيرة، وتمر أعداد كبيرة من السيارات هناك. لا شكّ في أن الرجل أوقف سيارته في مكان مناسب وأقبل عدواً نحو البيت في اللحظة التي انطلقت فيها صرخة التحذير ليصرف الأنظار إلى اتجاه آخر.

تمتم بوارو يقول: ما لم يكن قد دخل إلى القصر قبل ذلك! هل يوجد أيّ مكان يستطيع أن يختبئ فيه؟

ردّ السيد ويفرلي قائلاً: آه، حسناً، لم نفتش القصر تفتيشاً دقيقاً قبل الحادث؛ لم نجد حاجة لذلك. أعتقد أنه عُثر على مخبأ في مكان ما، ولكن من الذي سمح له بالدخول؟

وتوقف عن الحديث فجأة فقال بوارو: سنتعرّض لهذه النقطة في ما بعد، دعنا نستعرض الأمر بطريقة منهجية. ألا يوجد مخبأ خاص في داخل القصر؟ قصر ويفرلي قديم ويوجد في تلك القصور القديمة ما يسمى الغرفة السرية.

- يا إلهي، نعم، توجد غرفة سرية وفتحة بابها من القاعة في إحدى لوحات الحائط.

- قرب غرفة الاجتماعات؟

- بالقرب من بابها مباشرة.

- حسناً.

قال السيد ويفرلي: ولكن لا أحد غيري وغير زوجتي يعلم سرّ هذه الفتحة.

فتمتم بوارو بهدوء بقوله: وماذا بشأن تريدويل؟

- آه، حسناً، ربما يكون قد سمع عنها.

- والآنسة كولينز؟

- لم أتحدث معها عن هذه الفتحة قط.

استغرق بوارو في التفكير للحظة، ثم قال: حسناً يا سيدي، خطوتي التالية هي زيارة القصر. سأصل بعد الظهر، هل يناسبك هذا الموعد؟

قالت السيدة ويفرلي: آه، كلما أسرعت كان ذلك أفضل. أرجوك أن تعيد قراءة هذا مرة أخرى.

ودسّت في يد بوارو الرسالة الأخيرة التي وصلت من العدو في ذلك الصباح والتي تحدد كيفية تسليم الفدية وتهدد بقتل الطفل في حال أي بادرة للخيانة. واستبقى بوارو السيدة ويفرلي لدقيقة بعد خروج زوجها، وقال لها: أرجو أن أسمع منك الحقيقة كاملة يا سيدة ويفرلي. هل تشاركين زوجك ثقته في تريدويل؟

- حسناً، أقول لك الحق؟ لم أشعر نحوه بالميل قط.

- سؤال آخر، هل تستطيعين إعطائي عنوان المربية؟

- ١٤٩ في شارع نيذرول في هامر سميث، هل تتصوّر أن...؟

- كل ما في الأمر أنني أستخدم عقلي لكي لا أغفل حتى الاحتمالات التافهة.

* * *

وعاد بوارو بعد أن ودّع السيدة ويفرلي وقال: السيدة

لا تميل إلى تريدويل، أليس هذا أمراً مسلياً يا هيستنغز؟

لم أشأ أن أعطي رأيي خشية أن يسخر مني كعادته، والتزمت الصمت. وتوجهنا -بعد ذلك- إلى شارع نيذرول حيث وجدنا الآنسة جيسي ويذرز في مسكنها، وهي سيدة في الخامسة والثلاثين تظهر عليها الثقة بالنفس والاحترام.

لم أصدق أن تكون لها يد في ما حدث، وكانت مستاءة للأسلوب الذي اتُّبع للاستغناء عن خدمتها. واعترفت بأنها ارتكبت خطأ، فقد كانت مخطوبة لرسّام يعمل قريباً من المنطقة وقد ذهبت لتقابله. كنت أرى الأمر طبيعياً للغاية ولم أفهم سبب إصرار بوارو على مطاردة المربية بكل الأسئلة تلك التي تركزت على روتين عملها اليومي في القصر.

وتنهدتُ بارتياح حين انتهى بوارو من أسئلته، وقال لي ونحن نركب سيارة الأجرة: الاختطاف عملية سهلة يا صديقي العزيز. كان يمكن اختطاف الطفل بسهولة كاملة في أيّ يوم من الأعوام الثلاثة الماضية.

قلت له ببرودة: لا أرى هذه الملاحظة تفيدنا في شيء.

- بالعكس؛ فهي تفيدنا فائدة ضخمة.

* * *

كان قصر ويفرلي واحداً من الأماكن القديمة الجميلة، وقادنا السيد ويفرلي إلى غرفة الاجتماعات ثم إلى الشرفة، وأطلعنا على جميع المواقع التي تتصل بالقضية. وبناءً على

طلب بوارو ضغط على زر في الحائط فانزلق لوح ليظهر من خلفه ممر قصير يؤدي إلى غرفة سرية.

قال ويفرلي: ها أنت ترى... لا يوجد شيء هنا.

كانت الغرفة عارية من الأثاث ولم تكن هناك حتى آثار أقدام على الأرض. واقتربت من بوارو حيث كان ينحني على الأرض ليفحص علامة في الركن، وسألني قائلاً: ماذا تستخلص من هذا الأثر يا صديقي؟

صرخت بدهشة قائلاً: كلب؟

- كلب صغير يا هيستنغز.

نظرت إلى وجهه الذي لاح عليه الرضا، وهمس بوارو قائلاً: كنتُ على حق! والآن هيا بنا يا هيستنغز.

وعندما عدنا إلى الصالة وانزلق اللوح ليخفي الممر خرجَتْ -من الباب القريب- سيدة شابة قدّمتها إلينا السيدة ويفرلي قائلة: الآنسة كولينز.

كانت الآنسة كولينز في نحو الثلاثين، يظهر عليها النشاط واليقظة، وكانت ناعمة الشعر وترتدي نظارة تُشبك بالأنف. وذهبنا -بناء على طلب بوارو- إلى غرفة صغيرة ليستجوب الخادمة التي صرّحت بأنها لا تشعر بالميل نحو تريدويل، وفسرت ذلك بأنه متكبر. ثم تطرّق الحديث إلى الطعام الذي تناولته السيدة ويفرلي في مساء الثامن والعشرين وذكرت أنها تناولت من الطعام نفسه الذي أكلت منه سيدتها ولم تصب بسوء.

ثم سألها بوارو قائلاً: هل يوجد كلب في القصر؟

- هناك كلبان في الحظيرة.

- لا، أعني كلباً صغيراً، لعبة على شكل كلب.

- لا، ليس لدينا شيء كهذا.

ثم أذن لها بوارو بالانصراف، وضغط على الجرس وهو يهمس قائلاً: هذه الفتاة تكذب، لو كنت مكانها لكذبت أنا أيضاً. والآن فلنطلب الخادم الخصوصي.

كان تريدويل رجلاً معتزاً بشخصيته، وروى قصته ببساطة وكانت مطابقة لقصة سيده، واعترف بمعرفته سر الغرفة الخفية. وعند انصرافه تفرّست في عيني بوارو الذي بادرني بقوله: والآن ما رأيك يا هيستنغز؟

قذفت له الكرة قائلاً: ما رأيك أنت؟

- لقد أصبحتَ حذراً يا هيستنغز. لن أستفزّك، اشترك معنا في تحليل ما لدينا من معلومات، ما النقطة الأكثر صعوبة؟

- لماذا اختار مختطف الطفل الخروج من المدخل الجنوبي بدلاً من الشرقي حيث لا يستطيع أحد أن يراه؟

- هذه ملاحظة ذكية يا هيستنغز، ملاحظة ممتازة... وسأضيف إليها واحدة من عندي: لماذا يوجّه المختطف إنذاراً مسبقاً؟ لماذا لم يقم بعملية الخطف ثم يطالب بالفدية؟

- لأنه كان يتوقع الحصول على المال من غير أن يُضطر لتنفيذ عملية الخطف.

- ولكن الفدية لم تكن لتدفع لمجرد التهديد.

- لأنهم كانوا يريدون -أيضاً- تركيز الانتباه على الساعة الثانية عشرة حتى إذا ما قُبض على المتشرّد استطاع الشخص الآخر الخروج من مخبئه والهرب مع الطفل من غير أن يفطن إليه أحد.

- ولكن هذا لا يغير حقيقة أنهم كانوا يصعّبون أمراً هو في غاية السهولة... فلو أنهم لم يحددوا وقتاً أو يوماً معيناً لكان من السهل عليهم الانتظار وانتهاز الفرصة لخطف الطفل في أي يوم يخرج فيه مع مربيته.

قلت له بارتياب: آه، نعم، هذا صحيح.

- دعنا نتناول الموضوع من زاوية أخرى. كانت الدلائل كلها تشير إلى وجود شريك للجناة من داخل القصر. النقطة الأولى: تسمّم السيدة ويفرلي، والنقطة الثانية: الخطاب الملقى على الوسادة، والنقطة الثالثة: تقديم ساعة الحائط عشر دقائق... وهذه كلها أعمال يقوم بها شخص من داخل القصر. وثمة حقيقة أخرى لم تلاحظها: لم يكن هناك غبار في الغرفة السرية! من الواضح أن أحدهم قد كنسه بالمكنسة.

وسكت بوارو لبرهة ثم أكمل يقول: حسناً، لدينا أربعة أشخاص في الداخل. نستطيع أن نستبعد الخادمة لأنها لم

تكن تستطيع كنس الحجرة بالرغم من أنها كانت تستطيع القيام بالمهام الثلاث الأخرى. أربعة أشخاص هم السيد ويفرلي وزوجته وتريدويل والآنسة كولينز... نبدأ بالأخيرة، ليست لدينا أدلة ضدها ومعلوماتنا عنها قليلة، وهي سيدة ذكية ولم يمر عليها في الخدمة أكثر من عام.

قلت له مذكّراً: ولكنها كذبت بشأن الكلب.

- آه، نعم. والآن نتجه إلى تريدويل الذي تتجه إليه بضعة شكوك، من بينها اتهام المتشرد إياه بأنه الشخص الذي سلمه اللفافة في القرية.

- ولكن تريدويل يستطيع أن يثبت عدم صحة هذه الواقعة.

ردّ بوارو: بالرغم من هذا فقد كان باستطاعته أن يدسّ السم للسيدة ويفرلي وأن يضع الرسالة على الوسادة وأن يقدّم ساعة الحائط ويكنس الحجرة... ومن الناحية الأخرى فقد ولد في المكان وقضى عمره في خدمة أسرة ويفرلي، وليس من المعقول بعد هذا كله أن يشارك في خطف ابن صاحب القصر.

- حسناً، وبعد؟

- يجب أن نستخدم المنطق. وبالرغم من أن الفكرة قد تكون سخيفة إلا أننا يجب أن نستعرض حال السيدة ويفرلي، فهي سيدة ثرية والمال مالها، استخدم زوجها

ثروتها في تحسين أحوال القصر والضيعة ولا يوجد لديها مبرر لكي تختطف ابنها وتدفع الفدية لنفسها. والآن يحل الدور على الزوج: لديه زوجة ثرية، وهو نفسه غني ولكن ليس بثراء زوجته نفسه، ولديّ فكرة عن حرص الزوجة على أموالها؛ فهي لا تدفع مالاً إلا لأسباب قوية... ولكنك ترى أن السيد ويفرلي يحب البذخ.

قلت بدهشة: غير معقول!

راح بوارو يقول: كلا، أبداً. مَن الذي يطرد الخدم؟ هو السيد ويفرلي الذي يستطيع أن يكتب الرسائل، وأن يخدّر زوجته، ويقدّم عقارب الساعة، ويدبر شاهداً ممتازاً لخادمه الخاص المخلص تريدويل. ولم يكن تريدويل يشعر بالميل قط نحو السيدة ويفرلي وهو مخلص لسيده وعلى استعداد لتنفيذ أوامره بلا مناقشة.

كان هنالك ثلاثة يعملون معاً هم السيد ويفرلي وتريدويل وصديق للخادم، وكان ذلك هو الخطأ الذي ارتكبه رجال الشرطة؛ فهم لم يحاولوا إجراء المزيد من التحريات عن الشخص الذي يقود السيارة الرمادية الذي التقط طفلاً في مثل عمر جوني وله شعر كستنائي، وقاد سيارته في داخل ممرات حديقة القصر في اللحظة المناسبة وهو يلوّح بيده ويصرخ ليلفت إليه الأنظار ولا يستطيع أحد أن يتحقق من ملامح وجهه أو يلتقط رقم سيارته، وبالتالي لا يستطيعون تمييز وجه الطفل. ثم يتخذ السائق طريقاً مضللة نحو لندن بينما يكون تريدويل قد قام بتدبير تسليم اللفافة

والرسالة للمتشرد... وإذا تعرف على المتشرد يقوم السيد ويفرلي بالشهادة بأنه كان معه.

أما فيما يخص السيد ويفرلي فينتهز فرصة الجلبة في الخارج وخروج المفتش لاستطلاع الأمر ويسارع إلى إخفاء الطفل في داخل الحجرة السرية، ثم يلحق بالمفتش في الخارج. ثم يقوم -في وقت لاحق حين ينصرف المفتش ويتخلّص من الآنسة كولينز- بنقل الطفل في سيارته إلى مكان أمين.

- وماذا بشأن الكلب وكذب الآنسة كولينز؟

- كانت تلك هي مزحتي الصغيرة... لقد سألتها عمّا إذا كانت توجد في القصر لعبة على شكل كلب فنفت، ولكنني واثق من وجود بعض اللعب في غرفة الطفل، والذي حدث أن السيد ويفرلي وضع بعض اللعب في الحجرة السرية لكي يسلّي الطفل ويهدئه.

ودخل السيد ويفرلي في تلك اللحظة وسأل قائلاً: سيد بوارو، هل اكتشفت شيئاً؟ ألديك فكرة عن المكان الذي نقل إليه الطفل؟

فسلمه بوارو قطعة من الورق قائلاً: هذا هو العنوان.

- ولكنّ الورقة خالية من الكتابة!

- لأنني في انتظار أن تكتب لي العنوان بخط يدك.

امتقع وجه السيد ويفرلي وقال: ماذا تعني؟

- أنا أعلم كل شيء يا سيدي وأمهلك أربعاً وعشرين ساعة لكي تعيد الطفل، وستسعفك عبقريتك باختراع سبب يفسر عودته، وإلا ستجدني مضطراً لإخبار السيدة ويفرلي بالنتائج التي توصلتُ إليها.

غاص السيد ويفرلي في أحد المقاعد ودفن رأسه بين يديه قائلاً: الطفل مع مربيته السابقة في مكان لا يبعد أكثر من عشرة أميال، وهو في منتهى السعادة وبين أيدٍ أمينة.

- لا أشك في هذا، ولولا ثقتي بأنك والد طيب لما منحتك فرصة أخرى.

- والفضيحة؟!

- نعم، أنت تنتمي إلى واحدة من أعرق الأسر فلا تعرّض سمعتها للفضيحة. طاب مساؤك يا سيد ويفرلي. آه، وبهذه المناسبة أريد أن أقدّم لك نصيحة صغيرة: عندما تكنس مكاناً فلا تنسَ الأركان!

* * *

جريمة المسرح

قادت الصدفة البحتة صديقي هيركيول بوارو، القائد السابق في الشرطة البلجيكية، إلى إماطة اللثام عن جريمة ستايلز. وقد ذاع صيته منذ نجاحه في تلك الجريمة المعقدة، ومنذ تلك اللحظة استقرّ رأيه على أن يتفرغ للكشف عن أسرار الجرائم الغامضة.

ولأنني أصبت (في جبهة السوم) بجراح تسبّبَتْ في خروجي من الجيش فقد استقرّت الحال بي على مشاركة بوارو في المسكن الذي اتّخذه في لندن، ولأن صحبتي إيّاه أتاحت لي الوقوف على أسرار معظم القضايا التي تولاها فقد اقترح عليّ بعضهم أن أسجل بعض تلك الأسرار.

ورأيت أن أبدأ بالجريمة المشهورة التي عرفت باسم «جريمة الحفل الراقص». وبالرغم من أن هذه القضية لا تكشف عن الموهبة الحقيقية لبوارو إلا أن السبب الذي دفعني إلى اختيارها هو الملامح العاطفية التي سادت القضية والشخصيات ذوات الصيت الذائع والصحافة التي عُنيت بالقضية في وقتها مما أكسبها شهرة خاصة. ولذلك شعرت بأن من واجبي أن أشير إلى الدور الذي لعبه بوارو للكشف عن أسرار تلك الجريمة.

في يوم جميل من أيام الربيع بينما كنا جالسَين في مسكن بوارو، وكان صديقي ضئيل الحجم -برأسه ذات الشكل البيضوي- مشغولاً بتجربة صبغة جديدة لشاربه سقطت من يديّ صحيفة الديلي نيوز التي كنت أطالع فيها، واستغرقت في تفكير عميق.

قال بوارو: فيمَ تفكّر يا صديقي العزيز؟

فأجبته قائلاً: أقول لك الحق، كنت مشغولاً بالتفكير في جريمة الحفل التنكري الراقص، الصحف جميعها حافلة بأخبار الجريمة.

- حقاً؟

- كلما أفاض الإنسان في القراءة أدرك مدى غموض الجريمة. مَن الذي قتل اللورد كرونشو؟ وهل كان موت كوكو كورتيناي في الليلة نفسها مجرد صدفة؟ أكان مجرد حادث أم أنها تناولت متعمدة جرعة مضاعفة من المخدّر؟

وتوقفت لبرهة عن الحديث، ثم أردفت قائلاً: هذه هي الأسئلة التي كنت أوجهها لنفسي؟

خيّب بوارو أملي ولم يُظهر حماسة للموضوع عندما قال: لا شكّ في أن هذه الصبغة الجديدة للشارب ممتازة. ورمقني بطرف عينه، ثم قال في عجل: صحيح، وبماذا أجبت تلك الأسئلة؟

عندئذ قاطعتنا صاحبة البيت بدخولها معلنة وصول

المفتش جاب. وكان هذا المفتش (وهو من اسكتلنديارد) صديقاً قديماً لنا، فاستقبلناه بحفاوة وقال له بوارو: والآن يا صديقي الحميم، ما سبب زيارتك؟

فقال جاب وهو يومئ برأسه يحييني: حسناً يا سيد بوارو، أنا أحقّق في جريمة تدخل في دائرة اهتمامك، وقد جئت أعرض عليك الإسهام في الكشف عن المجرم.

كان رأي بوارو في جاب أنه شرطي كفء إلا أنه كان يفتقر إلى الخيال. وقال جاب: إنها جريمة الحفل التنكري الراقص.

- كان صديقي هيستنغز يحدثني في الموضوع نفسه منذ لحظات.

واسترسل جاب قائلاً: حسناً، أعتقد أنك قرأت تفصيلات الحادث في الصحف يا سيد بوارو.

- نعم، ولكن الخيال الصحفي كثيراً ما يكون مضللاً. أريد أن أسمع القصة منك.

فاسترخى جاب في جلسته وبدأ يروي القصة قائلاً: كما يعرف الجميع، أقيم في يوم الثلاثاء الماضي في قاعة كلوسوس الحفل التنكري الراقص الكبير، وهو الحفل الذي يحضره سكان لندن كلهم بما فيهم اللورد كرونشو الشاب وجماعته.

فقاطعه بوارو قائلاً: أريد أن أعرف بعض التفصيلات عن اللورد الشاب.

- يبلغ اللورد كرونشو الخامسة والعشرين من عمره،

وهو غني وأعزب، ويعرف الجميع أنه كان مولعاً بعالم المسرح، وقد رُوّجت إشاعات مفادها أنه خطب الآنسة كورتناي الممثلة في مسرح ألباني، وهي نفسها التي اشتهرت -بين أصدقائها- باسم كوكو، وهي شابة فاتنة.

- حسناً، أرجو أن تستمر.

- كانت جماعة اللورد كرونشو تتكون من ستة أشخاص؛ هم اللورد نفسه وعمّه النبيل يوستاك بلتين والسيدة مالابي (وهي أرملة أمريكية حسناء) وممثل شاب يدعى كريس دافيدسون وزوجته وأخيراً الآنسة كوكو كورتيناي. كان حضور الحفل الراقص بالملابس التنكرية، وكانت جماعة اللورد كرونشو ترتدي ملابس إحدى الفرق المسرحية الإيطالية القديمة... لا أدري ما اسمها.

فتمتم بوارو بقوله: أعرف، فرقة الكوميديا المرتجلة.

- على أيّة حال... لقد استوحي تصميم الملابس من مجموعة المقتنيات الخزفية التي يمتلكها يوستاك بلتين. وكان اللورد كرونشو يرتدي زي هارليكان، ويرتدي بلتين زي بانشينيللو، بينما تتنكّر الآنسة مالابي في زي بوليشينيالا، أما السيد دافيد سون وزوجته فقد كانا يتنكّران في زي بييرو وبييريت، وارتدت الآنسة كورتيناي زي كولمبين. ومنذ بدء السهرة ظهر بوضوح وجود شيء غير عادي؛ فقد كان اللورد كرونشو منزعجاً متوتر الأعصاب، وعندما التقى أفراد الجماعة في الغرفة الصغيرة كان من الواضح احمرار

عيني الآنسة كورتيناي، وعندما دعاهم صاحب الحفل لتناول العشاء لاحظ الجميع عزوف الآنسة كورتيناي عن الطعام وأن أعصابها على حافة الانهيار. لم يكن الجو مريحاً في أثناء العشاء، وعندما غادر الجميع الغرفة التفتَتْ نحو كريس دافيدسون وطلبتْ منه أن يرافقها إلى المنزل لأنها سئمت الحفل، فتردّد الممثل الشاب قليلاً ورمق اللورد كرونشو لبرهة قبل أن يعود معهما إلى داخل الغرفة الصغيرة. وعندما فشلت جهود كريس في التوفيق بينهما صحب الآنسة كورتيناي في سيارة أجرة إلى مسكنها.

وبالرغم من أنها كانت في حال ضيق إلا أنها لم تصارح كريس بالسبب مكتفية بقولها: سوف أجعل كرونشو يندم على ذلك أشد الندم. وهذه الإشارة الوحيدة التي تجعلنا نشكّ في أن وفاتها كانت قضاء وقدراً. وعندما تمكّن دافيدسون بعض الشيء من الحد من ثورتها كان الوقت قد تأخر بالنسبة إلى العودة إلى الحفل، فتوجّه –مباشرة- إلى مسكنه في تشلسي حيث لحقت به زوجته بعد قليل حاملة إليه أخبار الفاجعة التي وقعت بعد مغادرته القاعة.

ويظهر أن أعصاب كرونشو كانت تزداد توتراً مع مرور الوقت؛ لأنه تجنب الجلوس مع أفراد جماعته واختفى عن الأنظار في معظم الوقت، وكانت الساعة تقترب من منتصف الثانية صباحاً، واقترب موعد خلع الأقنعة، عندما لاحظ السيد ديجبي (أحد أصدقاء كرونشو الذي كان يعرف الزي التنكري الذي يرتديه اللورد الشاب) لاحظ وقوف كرونشو

بمعزل عن الناس في إحدى المقصورات وهو يستعرض القاعة بنظراته، وصرخ به قائلاً: مرحباً كرونشو، اهبط إلينا واندمج في المجموعة، لماذا تحدق من أعلى في ما حولك كالبومة الهاربة؟ فأجابه كرونشو قائلاً: انتظرني للحظة وإلا صعب عليّ رؤيتك في وسط هذا الزحام.

وغادر كرونشو المقصورة ووقف السيد ديجبي مع الآنسة دافيدسون في انتظار كرونشو، ومرّت الدقائق من غير أن يظهر اللورد، وبدأ القلق يستولي على ديجبي الذي قال: هل يتصور أننا سنظل في انتظاره طول الليل؟ وفي تلك اللحظة انضمت إليهما الآنسة مالابي فشرحا لها الموقف، وقالت الأرملة الحسناء: لقد كان منحرف المزاج طوال السهرة، دعونا نبحث عنه. ومباشرة بدأ البحث بلا فائدة حتى اقترحت الآنسة مالابي البحث في الغرفة الصغيرة التي تناولوا فيها العشاء، ورُوّعوا -عند دخولهم إلى الغرفة- بالمنظر البشع... كان هارليكان ممدداً على الأرض وقد اخترقت قلبَه سكينٌ من أدوات المائدة!

وتوقف جاب عن الحديث، فأومأ بوارو برأسه قائلاً: جريمة محكمة... وهكذا لم يترك القاتل أثراً. وهل تبينت دوافع ارتكاب الجريمة؟

استرسل المفتش يقول: حسناً، أنت تعلم بقية القصة... كانت المأساة مزدوجة، ونشرت تفصيلات المأساة في الصحف في اليوم التالي فضلاً عن تقرير موجز عن العثور على الممثلة المشهورة الآنسة كورتيناي ميتة في سريرها. لقد

كان موتها بسبب تناول جرعة كبيرة من المخدّر.

والسؤال الآن يقول: أهو حادث أم انتحار؟ وعندما استُدعيَتْ وصيفتها لتدلي بأقوالها أخبرتنا بأن الآنسة كورتيناي كانت مدمنة للمخدّرات، ومن ثم استبعدت فكرة الموت قضاء وقدراً. لقد كان موتها من سوء الطالع لأنه حرمنا من معرفة أسباب الخلاف الذي دبّ بينها وبين اللورد الشاب في الليلة السابقة. وبالمناسبة فقد عُثر على علبة فيها مخدّرات نقش عليها اسم كوكو، عثر عليها في ملابس القتيل، وتعرّفت الوصيفة على العلبة مؤكدة أنها لسيدتها التي كانت تحملها معها أينما ذهبت لأنها كانت تحفظ فيها المخدّر الذي أصبحت لا تفارقه.

- هل كان اللورد كرونشو نفسه من مدمني المخدّرات؟

- لا، أبداً.

فأومأ بوارو برأسه مفكّراً، ثم قال: ولكنّ العلبة كانت بحوزته، وهذا يعني أنه كان يعلم أن الآنسة كورتيناي تتعاطاه.

قال جاب بشرود: لم تخطر هذه الفكرة ببالي.

فابتسمتُ، بينما تابع جاب يقول: حسناً، هذه هي القضية. ما رأيك الآن؟

- ألم تعثر على أيّ دليل لم تتضمنه التقارير؟

- آه، بلى، عثرت على هذا.

وأخرج المفتش من جيبه زراً من الصوف ناوله لبوارو،

وكان عبارة عن كرة من الصوف مصنوعة من الحرير الأخضر تتدلى منه بعض الخيوط المقطوعة كأنه انتُزع من مكانه بعنف. وقال المفتش: لقد عثرنا عليه في يد القتيل وكانت تطبق عليه بإحكام.

وأعاد بوارو الزر إلى المفتش من دون تعليق وهو يسأله قائلاً: هل كان للورد كرونشو أعداء؟

- لا نعلم له أعداء قط؛ فقد كان شاباً محبوباً.

- من الذي يفيد من موته؟

- عمّه، النبيل يوستاك بلتين هو الذي يرث اللقب والممتلكات. توجد نقطة أو نقطتان تثيران الشكوك حوله، فقد أعلن بعضهم سماعهم جدلاً عنيفاً ثار بينهما في غرفة الطعام.

- وماذا يقول السيد بلتين؟

- كان ثملاً، وكانت الساعة تقترب من منتصف الثانية صباحاً. وهكذا ترى أن الموعد كان قريباً من ذلك الذي حدّده السيد ديجبي، ولم يمر أكثر من عشر دقائق بين حديث ديجبي معه وبين العثور على جثّة اللورد.

قال بوارو: على أيّة حال أعتقد أن السيد بلتين المتنكر في زي بانشينيللو كان يضع حدبة على ظهر الزي.

فقال جاب في ضيق: لا أعلم تفصيلات الزي الذي كان يرتديه، ولا أعرف لماذا تفكّر في هذه التفصيلات.

فقال بوارو ساخراً: أصحيح أنك لا تدري؟ ألم تكن توجد في تلك الغرفة الصغيرة ستارة؟

- بلى، ولكن...

- ويوجد خلفها مكان يكفي لإخفاء رجل؟

- آه، بلى، ولكن كيف عرفت وأنت لم تعاين المكان؟

- لقد تخيّلت وجود الستارة؛ لأن المأساة من غيرها تصبح غير معقولة... ويجب أن يستخدم الإنسان خياله. ولكن أخبرني، ألم يرسلوا في طلب طبيب؟

- بلى، لقد استدعوا طبيباً في الحال ولكنّ الموت كان قد وقع فوراً.

- ألم يقرّر الطبيب ملاحظة أعراض غريبة؟

ففغر المفتش فمه مندهشاً وهو يقول: نعم يا سيد بوارو، لا أعرف ما ترمي إليه، ولكنّ الطبيب ذكر أنه لاحظ توتراً وتصلباً في الأطراف ولم يستطع أن يقدّم تعليلاً لذلك.

هتف بوارو بسرور قائلاً: آه، يا إلهي! هذا أمر يبعث على التفكير، أليس كذلك؟

كنت على ثقة من أن المفتش لم يفكّر في ذلك الأمر؛ لأنه قال: إذا كنت تفكّر في السم فمَن الذي يسمم شخصاً ثم يطعنه بسكين في القلب؟

فقال بوارو بهدوء: لا شك في أن ذلك غباء.

- إذا كنت تريد أن تعاين الغرفة التي اكتشفنا فيها الجثّة الآن...

فقاطعه بوارو بقوله: لا داعي لذلك أبداً؛ فقد أخبرتني بالشيء الوحيد الذي يثير الاهتمام.

- إذن فأنت لا تحتاج إلى معاينة شيء؟

- مجرّد شيء واحد.

- وما هو؟

- مجموعة النماذج الخزفية التي صُمّمت الملابس على نمطها.

ففغر جاب فمه مندهشاً ثم قال: أنت إنسان غريب! تستطيع أن تذهب معي إلى ميدان بيركلي إن شئت، فلا أظن السيد أو اللورد -الآن- يعترض.

* * *

لم يكن اللورد كرونشو الجديد في مسكنه، ولكن الخادم قادنا -بناء على طلب المفتش- إلى الغرفة التي تضم مقتنيات اللورد الخزفية. وتطلّع المفتش حوله في حيرة قائلاً: لا أدري كيف تستطيع الاهتداء إلى المجموعة التي تبحث عنها في وسط هذا الزحام.

ولكن بوارو كان قد وضع مقعداً بالفعل تحت أحد الرفوف وارتقاه ليفحص -عن قرب- مجموعة تضم ستة

تماثيل من الخزف، وقال: هذه هي فرقة الكوميديا الإيطالية القديمة... ثلاثة أزواج: هارليكان وكولمبين، وبييرو وبييريت في زيه اللامع من الأبيض والأخضر، وبونشينيللو وبونشينيللا في الزي الزهري والأصفر. كم هو جميل زي بونشينيللو بحدبته وقبعته العريضة!

- نعم، هذا ما فكّرت فيه.

وأعاد التماثيل إلى موضعها بعناية ثم قفز إلى الأرض، وبدأ الامتعاض يظهر على وجه جاب لأن بوارو لم يقل شيئاً. ووصل رب البيت قبل انصرافنا فقام جاب بواجب التعارف.

كان اللورد كرونشو الجديد في الخمسين من عمره تقريباً، وكان وسيماً هادئ الطباع مشرق الوجه يظهر عليه التصنع، ولم أشعر بالارتياح نحوه منذ النظرة الأولى. حيّانا بشيء من العظمة قائلاً بأنه يقدّر كفاءة بوارو معلناً أنه يضع نفسه في خدمتنا.

وقال بوارو: رجال الشرطة يفعلون كل ما في وسعهم.

- ولكنني أخشى أن أقول إن مأساة مصرع ابن أخي لغز غير قابل للحل.

فقال بوارو وهو يتفحص وجهه ملياً: هل سمعت عن وجود أعداء لابن أخيك؟

- لا، أبداً؛ أنا واثق من ذلك. إذا كانت لديك أيّة أسئلة فأنا على استعداد.

فسأل بوارو قائلاً: مجرّد سؤال واحد. الملابس... لقد صُمّمت على النمط نفسه الذي تعرضه التماثيل؟

- بتفصيلاتها كلها.

- شكراً لك يا سيدي اللورد، هذا ما أردت التأكد منه. أتمنى لك يوماً طيباً.

* * *

قال جاب في قلق حين غادرنا المسكن: ما الخطوة التالية؟ يجب أن أعود الآن إلى مقر اسكتلنديارد.

- حسناً، لن أستبقيك، لديّ مسألة أخرى أريد أن أتحقّق منها وبعد ذلك...

- نعم؟

- تنتهي القضية.

- ماذا تقول؟ هل تعني أنك عرفت القاتل؟

- نعم.

- مَن؟ يوستاك بلتين؟

- آه يا صديقي العزيز! أنت تعلم نقطة ضعفي؛ أنا أحب أن تبقى الخيوط كلها بين يدي حتى اللحظة الأخيرة. سأكشف كل شيء في اللحظة المناسبة، وسأنسب الفضل كله لك بشرط واحد، وهو أن تسمح بأن يكون الحل على طريقتي الخاصة.

فقال جاب ولعابه يسيل: هذا عدل... إذا كان الحل سيأتي!

* * *

انصرف جاب، بينما أوقف بوارو سيارة أجرة وطلب من السائق التوجه إلى تشيلسي. وسألته قائلاً: ما رأيك في اللورد كرونشو الجديد؟

- أريد أن أسمع رأي صديقي هيستنغز أولاً.

- أنا لا أشعر نحوه غريزياً بالميل.

- هل تتصوره العمّ الشرير الذي نقرأ عنه في الروايات؟

- ألا تراه أنت كذلك؟

- أنا؟ أنا أراه إنساناً ودوداً نحونا.

- لأن لديه دوافعه.

فهزّ بوارو رأسه بأسى ولم يقل شيئاً. وعندما وصلنا إلى مسكن السيد كريس دافيدسون كان غائباً عن البيت، فاستقبلتنا زوجته. وهي سيدة نحيفة تميل إلى القصر وهشّة في ما عدا البريق الذي يتوهج في عينيها. وشرح لها بوارو أسباب الزيارة.

قالت السيدة دافيدسون: مسكين كرونشو وكذلك التعسة كوكو؛ لقد كانا صديقين حميمين، لقد حزنّا أشد الحزن

لموتهما. هل تريد أن توجه إليّ المزيد من الأسئلة لتعيد إلى ذهني المأساة من جديد؟

- صدقيني يا سيدتي، أنا أقدّر مشاعرك. لقد زودني المفتش جاب بالتفصيلات كلها، وكل ما أريده أن أرى الزي الذي كنت ترتدينه في الحفل.

فوجئت السيدة بالطلب، فاسترسل بوارو قائلاً: لعلّك تدركين -يا سيدتي- أنني أسير على الأسلوب المتبع في بلادي، وهو إعادة بناء الجريمة. ومن المحتمل أن أقوم بعرض تمثيلي للأحداث، والملابس -في هذه الحال- لها أهميةً بالغة فيً هذا الأسلوب.

وبدأ الشك يظهر على وجهها وهي تقول: لقد سمعت عن فكرة تمثيل الجريمة، ولكن لم أكن أعلم أنها تُعنى بمثل هذه التفصيلات. سأحضر لك الزي.

غادرت الغرفة، ثم عادت بعد قليل حاملة الثوب الحريري المصنوع من اللونين الأبيض والأخضر. وأخذ بوارو الثوب ليفحصه عن كثب ثم أعاده إليها قائلاً: شكراً لك يا سيدتي، أرى أن سوء الحظ قد تسبّب في فقدانك أحد الأزرار الخضراء، الزر الموضوع على الكتف.

- نعم، لقد تمزق في أثناء الرقص وسلمته لكرونشو ليحتفظ به من أجلي.

فسألها بوارو قائلاً: هل حدث ذلك بعد العشاء؟

- نعم.

- ربما حدث ذلك قبل وقوع المأساة بوقت قليل.

بدا الذعر في عينيها وهي تجيب بسرعة قائلة: آه، لا، بل حدث ذلك قبل حصول المأساة بوقت طويل... بعد العشاء مباشرة.

فقال بوارو بتمهل: حسناً، لن أزعجك أكثر من هذا. طاب يومك يا سيدتي.

* * *

قلت له عند مغادرتنا المبنى: حسناً، هذا يفسر سرّ الزر الأخضر.

- هل رأيتني وأنا أفحص الثوب يا هيستنغز؟

- نعم.

- لم يتمزق الزر كما قالت السيدة دافيدسون؛ لقد انتُزع انتزاعاً بالمقص لأن الخيوط تحته مستوية.

صرخت بدهشة قائلاً: يا إلهي! هذا يزيد الأمور تعقيداً.

- على العكس، هذا يوضح الأمور ببساطة.

- بوارو، سأضطر لقتلك في يومٍ ما! أنت ترى الأمور ببساطة تثير الأعصاب.

- ألا تظهر الأمور بسيطة عندما أشرحها؟

- بلى، وهذا ما يثير أعصابي؛ فأنا أشعر -وقتها- بأنه كان في مقدوري أن أتوصل إلى الحل.

- لو أنك حاولت أن ترتب أفكارك بأسلوب منطقي لاستطعت ذلك بلا شك.

وحاولت أن أتخلّص من الجدل فقلت: ما الخطوة التالية؟ هل ستعيد تمثيل الجريمة؟

- ربما لم يكن الأمر يحتاج إلى ذلك، ولكنني أقترح إضافة شخصية هارليكان.

تحدّد يوم الثلاثاء التالي لتقديم هذا العرض الغامض. وقد أثارتني الترتيبات الغريبة، وأقيمت ستارة بيضاء في جانب من الغرفة وغُطّيت حوافها من الجانبين بستائر ثقيلة، ثم جاء رجل يحمل بعض معدات الإضاءة، ثم مجموعة من الممثلين المحترفين الذين اختفوا في داخل غرفة بوارو التي أعِدتّ بصفة مؤقتة كغرفة للملابس.

ووصل المفتش جاب قبيل الثانية بقليل، ولم يكن مبتهجاً بحال من الأحوال بل كان من الواضح أنه غير راضٍ عن الأسلوب الذي يتبعه بوارو. وقال لي المفتش: لقد وعدته بأن أترك له حرية اتّخاذ الحل على طريقته الخاصة.

قلت: ها قد وفد الجميع.

دخل اللورد أولاً وهو يتأبط ذراع السيدة مالابي التي رأيتها للمرة الأولى، وكانت سيدة حسناء سوداء الشعر تظهر

عليها العصبية. ثم دخل السيد والسيدة دافيدسون، وكانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها كريس دافيدسون أيضاً، وكان رجلاً وسيماً طويل القامة تظهر عليه ملامح الممثلين بوضوح.

وكان بوارو قد أعدّ مقاعد للجلوس في مواجهة الشاشة التي أنيرت بضوء قوي. ثم أطفأ بوارو أنوار الغرفة عدا الشاشة المضاءة، ودوى صوته قائلاً: سيداتي وسادتي، أنا مدين لكم ببعض الشرح؛ ستظهر أمامكم على الشاشة شخصيات على التوالي، كلها شخصيات مألوفة لديكم: ببيرو وبييريت وبونشينيللو المهرج والفاتنة بولشينيللا والحسناء كولمبين التي تسير راقصة بخفة وهارليكان الشبح الذي لا تراه العين.

وبدأ العرض بعد تلك المقدمة، وكانت الشخصية التي يتحدّث بوارو عنها تظهر أمام الشاشة لبرهة ثم تختفي. وعندما انتهى العرض كانت أعصاب الجميع متوترة، وخيل إليّ أن المرمى الذي يسعى إليه بوارو لم يتحقق؛ إذا كان يتوقع انهيار القاتل في أثناء العرض.

إلا أن بوارو خطا إلى الأمام مبتهج الأسارير وقال: والآن، هل تستطيعون -أيّها السيدات والسادة- أن تخبروني كل على حدة بما شاهدتموه الآن؟ هل تتفضل يا سيدي اللورد؟

بدأ الارتباك يظهر على اللورد وهو يقول: أخشى أن أقول إنني لم أفهم تماماً...

ردّ بوارو موضحاً بقوله: تحدّث -ببساطة- عن المشهد الذي رأيته قبل قليل.

- لقد شاهدت ستة أشخاص يمرون بالتتابع أمام الشاشة مرتدين الأزياء نفسها التي كان أفراد الفرقة الإيطالية القديمة يرتدونها في الكوميديا المرتجلة، أو بمعنى آخر الشخصيات التي كنّا نتنكّر في ملابسها في ليلة الحفل الراقص.

فقاطعه بوارو قائلاً: دعك من شخصيات الحفل... يكفيني ما ذكرته في بداية حديثك. سيدتي، هل توافقين على ما قاله اللورد كرونشو؟

كان الحديث موجهاً إلى السيدة مالابي التي قالت: أنا متفقة معه في الرأي.

فسألها بوارو: توافقين على أنك رأيت ست شخصيات تمثل فرقة الكوميديا الإيطالية؟

- نعم، بالتأكيد.

- وأنت يا سيد دافيدسون؟

- نعم.

- والسيدة؟

- نعم.

فسأل بوارو قائلاً: هيستنغز، جاب... أأنتما متفقان على هذا الرأي؟

وأخذ بوارو يلتفت حوله وعيناه تشعان ببريق كعيون القطط، ثم قال: مع ذلك أنتم مخطئون! لقد خدعتكم أبصاركم الآن كما خدعتكم في ليلة الحفل؛ رؤيتك الأشياء بعينيك –كما يقولون– لا يعني الحقيقة دائماً. يجب أن يرى الإنسان بعقله، ينبغي أن يستخدم الإنسان بصيرته... والآن أودّ أن تعرفوا أنكم لم تشاهدوا ست شخصيات، لقد رأيتم خمساً فقط.

وأنيرت الغرفة من جديد فظهرت أمام الشاشة شخصية بييرو. وصرخ بوارو قائلاً: مَن هذا؟ أهو بييرو؟

صرخ الجميع بصوت واحد: نعم.

- انظروا جيداً.

وتجرّد الرجل الذي يمثل شخصية بييرو بسرعة من عباءة بييرو، فظهر تحت الأضواء الساطعة ثوب هارليكان. وانطلقت في اللحظة نفسها صرخة من كريس دافيدسون الذي قال بغيظ: تبّاً لك! كيف استطعت أن تخمن؟

وأسرع المفتش جاب نحو كريس فوضع القيد في يديه.

* * *

بعد ربع ساعة بدأ عشاء عمل ظهر فيه بوارو مبتهج الأسارير مظهراً استعداده لإجابة أيّ سؤال، وقال: كان الأمر في غاية البساطة؛ كانت ظروف العثور على الزر الأخضر تؤكد أنه قد انتُزع من ثوب القاتل، وقد استبعدت فكرة أن

تكون بييريت هي القاتلة لوهنها وعدم قدرتها على استخدام السكين، ثم ركزت على بييرو، إلا أن بييرو غادر القاعة قبل ساعتين من ارتكاب الجريمة، وفكّرت في أنه إما أن يكون قد عاد في وقت لاحق ليقتل كرونشو أو أنه قد قتله قبل انصرافه.

هل كان ذلك مستحيلاً؟ من الذي شاهد كرونشو بعد العشاء؟

لم يره أحد سوى السيدة دافيدسون التي لم أثق في أقوالها وهي تبرّر أسباب فقد الزر من ثوبها... لقد قطعته بالمقص لكي تثبته في مكان الزر المنزوع من ثوب زوجها. ونعود إلى هارليكان الذي شوهد في المقصورة قبيل الواحدة والنصف صباحاً. لقد انتحل آخر شخصيته، وفكّرت –في لحظة سابقة– في أن السيد بلتين قد يكون القاتل، ولكنني استبعدت الفكرة لأن الزي الذي يرتديه لا يمكّنه من تمثيل الدورين؛ دوري بانشينيللا وهارليكان، بينما نجد –من الناحية الأخرى– دافيدسون الشاب الذي يشبه –في جسمه– القتيل فضلاً عن أنه ممثل محترف. لقد كان الأمر سهلاً بالنسبة إليه. إلا أن شيئاً واحداً أزعجني... لم يكن يصعب على أيّ طبيب اكتشاف الفرق بين رجل مات منذ ساعتين وآخر مات منذ عشر دقائق. لم يُسأل متى لقي الرجل مصرعه، وإنما قيل له –على العكس– أن الرجل كان على قيد الحياة منذ عشر دقائق، ولهذا اكتفى بقوله بأنه لاحظ توتراً وتصلباً في الأطراف لا يجد له تعليلاً.

كانت نظريتي تسير سيراً حسناً؛ قتل دافيدسون اللورد كرونشو بعد العشاء مباشرة عندما صحبه إلى داخل المنزل

في وقت العشاء، ثم خرج مع الآنسة كورتيناي وتركها أمام باب منزلها بدلاً من أن يدخل معها ويحاول أن يحدّ من ثورتها (كما أكّد في أقواله)، ثم عاد إلى قاعة الحفل على وجه السرعة... ولكن بشخصية هارليكان وليس بييرو. وهو تغيير سهل؛ إذ يكفي فيه أن يخلع العباءة الخارجية.

مال عمّ القتيل بجسمه قليلاً إلى الأمام وهو يقول باستغراب: إذا كان الأمر كذلك فلا بدّ أنه جاء إلى الحفل مستعداً لارتكاب الجريمة، ما الدافع للقتل؟

فردّ بوارو بهدوء قائلاً: آه، هذا يقودنا إلى المأساة الثانية... مأساة الآنسة كورتيناي. لقد ماتت الآنسة كورتيناي من التسمم بالمخدّرات، ولكنّ المسحوق الذي تملكه كان في العلبة التي عُثر عليها في جيب القتيل. من أين حصلت -إذن- على المخدر الذي سبّب موتها؟ كان هناك شخص واحد يستطيع أن يزودها بالمخدر، دافيدسون، وهذا يفسر لنا كل شيء. كانت صديقة حميمة للسيد والسيدة دافيدسون، وكان هذا سبب طلبها من دافيدسون أن يصحبها إلى مسكنها. واكتشف اللورد كرونشو أنها مدمنة مخدّرات، ونظراً لأنه يكره المخدرات ومدمني المخدرات فقد ساورته الشكوك في أن دافيدسون هو الذي يبيعها المخدر. أنكر دافيدسون هذه الواقعة وأصرّ اللورد على انتزاع اعتراف من الممثلة التعسة لكي يغفر لها، ولكنّه لم يكن يستطيع -بحال من الأحوال- أن يرحم الشخص الذي يتاجر بالمخدرات. وأصبح دافيدسون يواجه الدّمار، ومن ثم عقد عزمه وهو

ذاهب إلى الحفل على إسكات اللورد مهما كان الثمن.

- هل كان موت كوكو مجرّد حادث؟

فأجاب بوارو: أشكّ في هذا، وأرجح أنه كان بتدبير ذكي من دافيدسون؛ فقد كانت غاضبة أشد الغضب من كرونشو بسبب تقريعه إيّاها ولأنه أخذ منها علبة المخدّر، فقام دافيدسون بتزويدها بجرعة أخرى، وربما يكون قد اقترح عليها إغاظة اللورد بمضاعفة الكمية التي تتناولها.

قلت له: سؤال أخير يا بوارو، ماذا بشأن الفراغ الذي خلف الستار؟ كيف عرفت أمره؟

أجاب بوراو قائلاً: ذلك أمر في غاية البساطة يا صديقي العزيز؛ فقد كان الخدم يدخلون ويخرجون من الغرفة بصورة مستمرة، لهذا لم يكن في استطاعة دافيدسون أن يترك الجثة في الغرفة معرَّضة للأنظار؛ ومن ثم كان من الواجب تدبير مكان لإخفائها، وقد خمنت فكرة الستار والفراغ من خلفه. فسحب دافيدسون الجثة وأخفاها وراء الستار، ثم عاد –بعد ذلك– ليلفت الأنظار وهو واقف في المقصورة، وبعد ذلك رجع إلى الغرفة وسحب الجثة إلى الموضع الذي اكتُشفت فيه، بينما غادر الغرفة من غير أن يراه أحد... مجرم ذكي.

وقرأت في عيني بوارو –وهو ينطق بتلك الكلمات– أنه يريد أن يضيف إلى ذلك قوله: "ولكنّه ليس أذكى من هيركيول بوارو".

* * *

علبة الحلوى

كانت ليلة موحِشة يدوّي صوت الهواء فيها في الخارج ويصفق النوافذ بعنف، وكنت جالساً أمام المدفأة مع بوارو نستمتع بالدفء. وتمتم بوارو قائلاً: ما أجمل الحياة!

وافقته وقلت له: نعم، الحياة جميلة. ها أنا ذا أشغل وظيفة طيبة وأنت أصبحت شخصاً مشهوراً.

قال بوارو معترضاً: لا تبالغ يا صديقي، فطالما حالفني الفشل.

- أنت؟ هل فشلت في قضية واحدة؟

- بل فشلت في عدة قضايا، لا يمكن للحظ أن يحالفك دائماً، ولكل إنسان أيام سعده وأيام نحسه.

قلت له: الذي أريد أن أقوله: هل فشلت مرة واحدة بسبب خطأ من جانبك؟

- آه، فهمت ما تعنيه. نعم، حدث يا صديقي وأظهرت نفسي إنساناً غبياً. أعلم أنك وضعت سجلاً للأعمال الناجحة التي حققتها، ولكنك تستطيع أن تضيف إلى سجلك قصة فشلت فيها.

واقترب بوارو من المدفأة وبدأ يروي القصة، قال: كان

ذلك في بلجيكا منذ سنوات طويلة في الوقت الذي كانت تدور فيه في فرنسا معركة هائلة بين الكنيسة والدولة، وكان السيد بول ديرولار واحداً من النواب الفرنسيين المرموقين، ولم يكن سراً أنه مرشح ليكون وزيراً.

وكان واحداً من أشد المناهضين للحزب الكاثوليكي شراسة، وكان متوقَّعاً له -عندما يتولى الوزارة- أن تزداد عداوته اشتعالاً. وكان هذا الرجل غريب الأطوار من نواحٍ كثيرة بالرغم من أنه لا يدخن، ومنذ سنوات تزوج في بروكسل شابة جاءته بمهر ضخم، واستغل ديرولار المال لصالحه إذ لم يكن من عائلة غنية بالرغم من أنه كان يلقب بالبارون. ولم ينجب من زوجته التي ماتت بعد عامين وورث عنها أملاكاً كثيرة، منها المنزل الذي يقيم فيه في شارع لويز في بروكسل.

ثم مات ديرولار ميتة مفاجئة في المنزل نفسه في الوقت الذي كان قرار تعيينه في الوزارة يُعد بسبب استقالة الوزير الذي سيشغل هو مكانه، ونُشر الخبر في الصحف كلها وذُكر أن الوفاة المفاجئة حدثت نتيجة لأزمة قلبية بعد تناول العشاء.

كنت في ذلك الوقت -كما تعلم يا صديقي- أعمل في مخابرات الشرطة البلجيكية، ولم تكن وفاة ديرولار تهمني بصفة خاصة، وأنت تعلم أيضاً أنني كاثوليكي طيب، وقد كانت وفاته في صالح الكنيسة في نظري.

وبدأت إجازتي بعد ذلك بثلاثة أيام حينما استقبلت في منزلي سيدة تضع حجاباً كثيفاً على وجهها، وكان من الواضح أنها شابة. وقالت لي بصوت عذب: أأنت السيد هيركيول بوارو؟

فانحنيت لها انحناءة خفيفة، وأردفت تقول: وتعمل في المباحث؟

وانحنيت لها ثانية طالباً منها الجلوس، فأزاحت الحجاب بعد جلوسها لأرى وجهاً جميلاً مشرقاً بالرغم من آثار البكاء، وقالت: أعلم -يا سيدي- أنك في إجازة الآن، لهذا فأنت حر في قبول القضية التي أعرضها عليك أو رفضها.

وهززت رأسي وأنا أجيبها بقولي: أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً يا سيدتي، فبالرغم من كوني في إجازة إلا أنني ما زلت أعمل لحساب الشرطة.

فمالت بجسمها قليلاً إلى الأمام وهي تقول: كل ما أطلبه منك- يا سيدي- القيام ببعض التحريات، ولك أن ترفع النتائج بعدها إلى الشرطة.

لم أمانع بعد هذا التوضيح من جانبها، وتورد وجهها وهي تستأنف الحديث قائلة: شكراً لك يا سيدي، أريد منك أن تتحرى عن أسباب موت السيد ديرولار.

- كيف؟

- لدي شكوك. ليس هناك من الأدلة ما يعززها سوى

غريزتي النسائية، ولكنني مقتنعة كل الاقتناع بأن السيد ديرولار لم يمت ميتة طبيعية.

- ولكن من المؤكد أن الأطباء...

- قد يخطئ الأطباء، فقد كان شخصاً قوياً. أتوسل إليك يا سيد بوارو أن تساعدني.

قلت لها برقة: سأساعدك يا آنسة، وإن كنت أعتقد أن مخاوفك لا داعي لها. الأمر الأول أريد أن أعلم منك بعض المعلومات عن نزلاء المنزل.

- هناك الخدم بالطبع، جانيت وفيليس ودنيز الطاهية، وهذه الأخيرة تعمل في المنزل منذ سنوات طويلة، أما جانيت وفيليس فمن الفتيات الريفيات البسيطات. ويوجد -كذلك- فرانسوا، وهو خادم عجوز، ثم والدة السيد ديرولار التي تعيش معه، وأنا. اسمي فرجيني مسنار وأنا ابنة الأخت الفقيرة للسيدة ديرولار الراحلة، وقد أقمت معها وشاركت في إدارة المنزل لثلاث سنوات، وكان يوجد في المنزل ضيفان.

- ما اسمهما؟

- السيد دي سانت ألار، وكان جاراً للسيد ديرولار في فرنسا، والآخر صديق إنكليزي يدعى السيد جون ويلسون.

- هل يقيمان في المنزل إلى الآن؟

- بالنسبة إلى السيد ويلسون نعم، أما السيد دي سانت ألار فرحل في الأمس.

- وما خطتك يا آنسة فيرجيني؟

- إذا حضرت إلى المنزل في نصف ساعة، فسأخترع قصة تبرر وجودك؛ سأخبرهم أنك تعمل في الصحافة وأنك قادم من باريس ومعك بطاقة تقديم من السيد دي سانت ألار، فصحة السيدة ديرولار معتلة للغاية ولن تعنى بالتفصيلات.

* * *

دخلت إلى المنزل بالصفة التي قدمتها الآنسة مسنار، وبعد لقاء قصير مع أم النائب الراحل التي تتصنع الأرستقراطية بالرغم من ضعف صحتها سمح لي بالذهاب إلى الغرفة التي خصصت لي.

وتابع بوارو قصته قائلاً: هل تتخيل -يا صديقي- صعوبة المهمة التي أسندت إلي؟ شخص مات منذ ثلاثة أيام، وإذا كانت هناك جريمة فأقرب الاحتمالات أن يكون الرجل توفي مسموماً، فلم تكن لدي فرصة لرؤية الجثة وليس هناك احتمال لفحص أية مادة دس السم فيها أو تحليلها... لم يكن أمامي أي دليل يشهد على أن الرجل توفي مسموماً وكان علي، أنا هيركيول بوارو، أن أقرر: هل توفي بالسم؟

في بداية الأمر قابلت الخدم، واستطعت -بمساعدتهم- الوقوف على تفصيلات ما حدث في تلك الليلة، ووجهت

عناية خاصة إلى الطعام الذي قدم في العشاء وعلمت أنه كان يتكون من الحساء واللحم المشوي والدجاج، وأخيراً مجموعة من الفواكه، وتأكدت من أن السيد ديرولار هو الذي قدم الطعام بنفسه، ثم قُدّمت القهوة بعد العشاء، ومن ثم يستحيل على أحد أن يدس السم في الطعام إلا إذا كان يريد قتل الجميع. وبعد العشاء انسحبت السيدة ديرولار إلى غرفتها وفي صحبتها الآنسة فيرجيني فيما ذهب الرجال الثلاثة إلى غرفة المكتبة حيث بدؤوا يتحدثون حديثاً ودياً، وفجأة سقط ديرولار بعنف على الأرض. وأسرع السيد سانت ألار ليخطر فرانسوا لاستدعاء طبيب على الفور، وقال للطبيب إنها لا شك نوبة صرع، ولكن الرجل كان قد أسلم الروح حين وصل الطبيب.

ذلك ما عرفته من أحداث تلك الليلة. وقدمتني الآنسة فيرجيني إلى السيد جون ويلسون، وهو إنكليزي صرف في وسط العمر. وقال لي: كان السيد ديرولار شديد احمرار الوجه في لحظة سقوطه على الأرض.

بعد ذلك ذهبت لمعاينة مسرح المأساة في غرفة المكتبة وتركوني وحدي، ولم أجد أي دليل يعزز شكوك الآنسة مسنار واعتقدت أنها تحت قد تخيلت ما تخيلته تأثير عاطفة رومانسية نحو النائب. وبالرغم من ذلك كله قمت بتفتيش الأركان كلها بعناية فائقة، وفكرت في أن أحدهم قد يكون غرز حقنة السائل المسموم في مقعد ديرولار بحيث تغرس الإبرة في جسمه في لحظة جلوسه على المقعد، ولكنني

تأكدت -بعد التفتيش- استحالة ذلك. وفكرت في التخلي عن القضية بعد أن عجزت في العثور على الدلائل، وبينما كانت تلك الفكرة تجول في خاطري وقع بصري على صندوق كبير للشوكولاتة فوق طاولة قريبة، وغاص قلبي بين جنبي؛ فقد تكون تلك العلبة مفتاح السر.

كانت العلبة مليئة بقطع الشوكولاتة لم تؤخذ منها قطعة واحدة، وأثار انتباهي أن الصندوق كان باللون الأحمر الوردي بينما كان الغطاء أزرق اللون، وهو أمر غير عادي.

في البداية ظننت أن تلك الملاحظة لا قيمة لها، ولكنني قررت اتخاذها نقطة البدء في التحقيق، فاستدعيت فرانسوا وسألته عما إذا كان الراحل مولعاً بالحلوى. ابتسم ابتسامة شاحبة وقال: كان مولعاً بالشوكولاتة إلى أبعد حد، وكان يحتفظ في المنزل بصندوق منها دائماً. أنت تعلم أنه لم يكن يدخن.

- ومع هذا فالصندوق لم تسمه يدٌ.

ورفعت الغطاء ليرى فرانسوا بنفسه، فقال: عفواً يا سيدي، هذا هو الصندوق الجديد الذي اشتراه في يوم وفاته.

قلت له ببطء: إذن فالصندوق القديم كان قد فرغ في يوم موته.

قال فرانسوا: نعم يا سيدي، وجدته فارغاً في الصباح وألقيته.

- هل كان السيد ديرولار يأكل الحلوى في ساعات النهار كلها؟

- كان يأكلها بعد العشاء.

بدأت الصورة تتضح في ذهني، وقلت لفرانسوا بصوت منخفض: فرنسوا، هل تستطيع أن تكتم الأسرار؟

- إذا دعت الحاجة إلى ذلك يا سيدي.

- حسناً، اعلم أنني من رجال الشرطة، هل تستطيع أن تحضر لي الصندوق الفارغ؟

- بالطبع يا سيدي، فهو ما يزال في صندوق القمامة.

وانصرف وعاد بعد بضع دقائق حاملاً صندوقاً يعلوه الغبار مشابهاً للصندوق الآخر، مع فارق واحد هو أن لون الصندوق أزرق والغطاء أحمر وردي!

فشكرت فرانسوا وطلبت منه تذكر ما قلته له، ثم غادرت المنزل إلى شارع لويز في هدوء.

* * *

ذهبت لمقابلة الطبيب الذي استُدعي لإسعاف السيد ديرولار، وكانت مهمتي معه صعبة؛ فقد كان يتستر وراء قدرة كبيرة على التعبير بطلاقة. قال لي: حدثت حالات كثيرة مشابهة بسبب نوبة من الغضب المفاجئ، حيث يؤدي

الانفعال بعد تناول وجبة ثقيلة إلى شدة صعود الدم إلى الرأس، وهكذا ينتهي الأمر.

قلت بعصبية: ولكن السيد ديرولار لم يكن عنيف المشاعر.

- بلى، فقد تأكد لي أنه دخل في مناقشة عنيفة مع السيد دي سانت ألار.

- ولماذا يشتبك معه؟

- هذا واضح، ألم يكن السيد دي سانت ألار كاثوليكياً متعصباً؟ كثيراً ما كانت علاقة الصداقة بينهما تتأزم نتيجة تطرق الحديث إلى الكنيسة والدولة، وكان من رأي السيد دي سانت ألار أن ديرولار عدو للمسيحية.

كانت هذه الكلمات غير متوقعة وحركت أفكاري، وقلت له: هل تسمح لي بسؤال آخر يا دكتور: هل كان بالإمكان إدخال جرعة قاتلة من السم في الشوكولاتة؟

- أعتقد أن هذا ممكن عن طريق استخدام حامض البروسيك الخالص إذا اتخذت الضمانات لعدم تبخره، ويمكن ابتلاعه من غير أن يفطن إليه إنسان. إن قضمة واحدة يا سيد بوارو كافية لإحداث الوفاة.

شكرت الطبيب، وبعد ذلك توجهت لسؤال الصيادلة وبخاصة الموجودين في شارع لويز، وساعدني -في ذلك- انتمائي للشرطة، فقد حصلت على المعلومات التي أريدها

بلا عناء. ولم أسمع من صيدلي واحد أنه صرف وصفة سموم لواحد من نزلاء البيت عدا قطرات سلفات الأتروبين للعين للسيدة ديرولار، والأتروبين من السموم الفعالة. وعلمت أن السيدة ديرولار مصابة بإظلام عدسة كلتا العينين وأنها تُعالَج بتلك القطرات منذ سنوات طويلة. وعندما كنت قد استدرت لأنصرف ناداني الصيدلي وقال لي: لحظة يا سيد بوارو، إنني أتذكر الآنسة التي أحضرت لي الوصفة، فقد ذكرت أنها ستمر على الصيدلي الإنكليزي. باستطاعتك أن تسأل هناك.

وذهبت إلى هناك، ومرة أخرى كشفت عن حقيقة شخصيتي وحصلت على المعلومات التي أستفسر عنها. فقد حررت وصفة للسيد جون ويلسون في اليوم السابق لوفاة السيد ديرولار، وكان المطلوب أقراص الأترنترين. وسألت الصيدلي عما إذا كنت أستطيع أن أرى شكل الأقراص فأطلعني على بعضها، وشعرت بدقات قلبي تزداد بسرعة لأنها كانت كالأقراص التي كانت في الشوكولاتة. وسألته: أهي سامة؟

- لا يا سيدي.

- هل تستطيع أن تصف لي تأثيرها؟

- إنها تخفض ضغط الدم، وهي توصف لبعض حالات أمراض القلب وتساعد على تخفيف توتر الشرايين.

وسألته بلهفة قائلاً: هل تسبب احمرار الوجه؟

- نعم، تفعل ذلك بكل تأكيد.

- افرض أنني تناولت عشرة أو عشرين قرصاً منها، ما الذي يحدث؟

فأجاب الصيدلي بجفاء قائلاً: لا أنصحك بفعل ذلك يا سيدي.

- وبالرغم من ذلك تقول إنها غير سامة؟

- هنالك كثير من الأشياء التي لا تندرج تحت اسم السموم، وبالرغم من هذا فهي تقتل الإنسان.

وغادرت الصيدلية راضياً؛ فقد بدأت الأمور تتضح.

* * *

في ذلك الحين كنت أعلم أن جون ويلسون يملك الوسيلة لارتكاب الجريمة، ولكن ما الدافع؟ لقد جاء إلى بلجيكا ليبرم صفقة عمل ولجأ إلى السيد ديرولار ليساعده، ولم يكن موت ديرولار يفيده في شيء. فضلاً عن أنني اكتشفت -من التحريات التي قمت بها في إنجلترا- أنه كان يعاني من أحد أمراض القلب التي تعرف باسم الذبحة الخانقة منذ سنوات، ومن ثم فقد كان من حقه حيازة تلك الأقراص. وبالرغم من ذلك فقد كنت مقتنعاً بأن أحد الأشخاص فتح العلبة بطريق الخطأ ثم عاد إلى العلبة القديمة وحشا قطع الشوكولاتة المتبقية فيها بأكبر قدر من أقراص الأترنترين التي كانت معه.

كانت قطع الشوكولاتة كبيرة، وقد دس فيها ما لا يقل عن عشرين أو ثلاثين قرصاً، ولكن مَن الذي يقوم بمثل هذا العمل؟ كان في البيت ضيفان، يملك جون ويلسون الوسيلة ويملك دي سانت ألار الدافع، ولا تنسَ أنه متعصب، فهل استولى على أقراص ويلسون بطريقة ما؟ ووجهت إلى نفسي سؤالاً آخر هو: لماذا نفدت الأقراص وكان باستطاعة ويلسون أن يجلب معه من إنكلترا أية كمية يحتاج إليها؟

وعدت إلى المنزل ثانية، وكان ويلسون في الخارج فطلبت الخادمة فيليس التي تعنى بغرفة السيد جون ويلسون والتي وُجِّه إليها اللوم بسبب فقدان علبة الأقراص؛ إذ اعتقد السيد ويلسون أنها كسرتها ولم تشأ أن تعترف بذلك، بينما ذكرت الفتاة أنها لم ترَ العلبة أبداً ولا بد أن تكون جانيت هي الفاعلة لأنها تدس أنفها في كل شيء.

وعلمت -في تلك الأثناء- كل ما أريد معرفته ولم يبق أمامي سوى إقامة الدليل. وليس هذا بالأمر السهل، قد يكون سانت ألار هو الذي أخذ العلبة، ولكن كيف أقنع الآخرين؟

وطلبت مقابلة الآنسة مسنار التي وافتني مباشرة، وطلبت منها عنوان السيد دي سانت ألار فشحب وجهها. وعندما رأت إصراري قالت: لا يستطيع أن يقول لك شيئاً؛ فأفكار الرجل تحلق في عالم آخر ولا يكاد أن ينتبه إلى ما يحدث حوله. لقد طلبت منك أن تتولى هذه القضية ولكني واثقة الآن من أنني كنت مخطئة في ما تصورته، والآن أرجو أن تترك القضية يا سيدي.

فنظرت إليها ببرود قائلاً: آنسة، يصعب على الكلب أحياناً أن يكشف رائحة، ولكنه عندما يعثر عليها فلا توجد قوة تحول بينه بين الانطلاق نحو هدفه. هذا إذا كان كلباً أصيلاً، وأنا -يا آنسة- هيركيول بوارو، أقول لك: أنا كلب أصيل.

فلم تقل شيئاً، بل غابت عن نظري لبضع دقائق ثم عادت بقطعة من الورق مكتوب عليها العنوان. وغادرت المنزل، وكان فرنسوا بانتظاري في خارج المنزل فسألني بلهفة قائلاً: أهناك أنباء جديدة؟

- ليس بعد يا صديقي.

فتنهد بعمق ثم قال: مسكين السيد ديرولار. أنا -أيضاً- لا أعبأ برجال الدين، ولكنني لا أستطيع أن أصرح بذلك لأن السيدات اللاتي في المنزل متدينات؛ السيدة تقية للغاية وكذلك الآنسة فرجيني.

الآنسة فرجيني تقية؟ تذكرت دموعها يوم جاءتني لأول مرة ودُهشت. ولم أضيع دقيقة واحدة بعد حصولي على عنوان السيد دي سانت ألار، ورحت أجوس حول المكان لبضعة أيام قبل أن تسنح لي فرصة التذرع بحجة لدخول المنزل، فقد ادّعيت أنني عامل أنابيب الغاز وأنني قد جئت لإصلاح صنبوراً يتسرب منه الغاز في غرفة النوم. وعثرت على خزانة صغيرة مغلقة لم أجد عناء كبيراً في فتح بابها، وكانت الخزانة مليئة بالعلب القديمة، وبقيت أفحص

العلب واحدة بعد الأخرى بيدٍ مرتجفة، وفجأة صدرت عني صرخة فرح، فقد عثرت على علبة أقراص الأترنترين وقد كتب عليها: "تُؤخذ حبة عند اللزوم".

وسيطرت على عواطفي بمشقة، وأغلقت الخزانة ودسست علبة الأقراص في جيبي، ورحت أصلح الصنبور المعطوب، ثم غادرت المنزل وسافرت إلى بروكسل في تلك الليلة نفسها. وكنت أعد تقريراً لتسليمه إلى مفتش الشرطة في الصباح حين تلقيت رسالة من السيدة ديرولار العجوز طالبة مني الذهاب إليها من دون تأخير.

وفتح لي فرانسوا الباب قائلاً: سيدتي البارونة في انتظارك.

وقادني إلى غرفتها، وكانت غائصة في مقعد كبير، ولم يكن هناك أثر للآنسة فرجيني. قالت العجوز: لقد عرفت الآن يا سيد بوارو أنك لست الشخص الذي انتحلت صفته وأنك ضابط شرطة، وقد قدمتَ لتحقق في الظروف التي أدت إلى موت ابني، وسأكون سعيدة لو أخبرتني بالنتائج التي توصلت إليها.

فترددت لبرهة، ثم سألتها عن المصدر الذي عرفت منه تلك الحقائق فقالت: من شخص لم يعد يعيش معنا في هذا العالم.

وجعلت تلك الكلمات البرودة تسري إلى قلبي، وصرت غير قادر على النطق. وعادت العجوز تقول: أرجوك أن تخبرني بسرعة بالنتائج التي توصلت إليها.

- سيدتي، لقد انتهى التحقيق.

- وماذا ترى بشأن موت ابني؟

- لقد قُتل عمداً.

- هل تعرف القاتل؟

- نعم يا سيدتي، السيد دي سانت ألار.

فهزت العجوز رأسها لتنفي ما قاله بوارو، ثم قالت: أنت مخطئ، ليس السيد دي سانت ألار قادراً على ارتكاب مثل هذه الجريمة.

- الدليل في جيبي.

- أرجوك أن تخبرني بكل ما لديك.

وأطعتها هذه المرة ورويت لها الخطوات التي اتبعتها حتى اهتديت إلى الحقيقة، فأصغَتْ إليّ باهتمام ثم قالت: نعم، ما قلته صحيح في ما عدا نقطة واحدة؛ فلم يقتل السيد دي سانت ألار ابني. أنا التي قتلته!

فحملقت في وجهها مندهشاً، ولم تعبأ بي وراحت تقول: من حسن الحظ أنني طلبت استدعاءك، ولعلها عدالة الله التي دفعت فيرجيني لكي تخبرني قبل أن تذهب إلى الدير. استمع إلي يا سيد بوارو: كان ابني رجلاً شريراً، كان يحارب الكنيسة ويحيا حياة إثم، شاهدته بعيني يدفع زوجته لتسقط عن الدرج وتموت. كان ابني قاتلاً وكنت أنا، أمه، الشخص

الوحيد الذي يعلم هذه الحقيقة. لا يمكن أن تتصور -يا سيدي- مدى شعوري باليأس والأسى... لم يكن باستطاعتي الوشاية به فضلاً عن أنهم لن يصدقوني، وبالتزامي الصمت كنت أشارك في الجريمة. ورث ابني ثروة زوجته وصار غنياً وأوشك على أن يُعيَّن وزيراً لتزداد حربه للكنيسة ضراوة. ثم كانت هناك فرجيني، الفتاة الصغيرة الجميلة النقية، وكانت الفتاة مفتونة به، وكنت أعلم أن الدور سيحل على الفتاة البائسة وأنا لا أملك دفع الأذى عنها، فلم يكن في نيته الزواج بها. ثم رأيت الحل واضحاً أمام عيني... أنا الأم التي منحته الحياة، وقد قتل امرأة ويوشك أن يقتل امرأة أخرى، فتسللت إلى غرفة السيد ويلسون وأخذت علبة الأقراص. لقد سمعته -ذات مرة- يذكر مازحاً أن ما في العلبة يكفي لقتل رجل، فذهبت إلى غرفة المكتب حيث توجد علبة شوكولاتة بصفة دائمة، وفتحت العلبة الجديدة خطأ، وكانت الأخرى موجودة على الطاولة نفسها، لم يكن فيها سوى قطعة واحدة من الشوكولاتة مما سهّلَ مهمتي. ولم يكن أحد سوى ابني وفرجيني يأكل هذه الحلوى، وناديت الفتاة لتبقى معي في تلك الليلة، وسارت الأمور على النحو الذي خططت له.

وسكتت لبرهة، ثم استأنفت حديثها قائلة: أنا بين يديك الآن يا سيد بوارو. يذكر الأطباء أن أيامي في الحياة باتت معدودة، وأنا على استعداد لمواجهة مصيري أمام الله. هل يجب أن أعاقَب في الدنيا أيضاً؟

وترددت قليلاً قبل أن أسألها قائلاً: ولكن ماذا بشأن

العلبة الفارغة؟ كيف عادت إلى السيد دي سانت ألار؟

- عندما جاء يستأذنني في الرحيل دسستها في جيبه. لا أعرف وسيلة أخرى للتخلص منها، فأنا أكاد أن أكون عاجزة عن الحركة من غير مساعدة الآخرين، والعثور على علبة الأقراص الفارغة في غرفتي يثير الشبهات، فلم أقصد توجيه الشكوك إلى السيد ألار. تخيلت أن خادمه سيرميها عندما يعثر عليها في جيبه.

فانحنيت لها وأنا أقول لها: أنا أقدر موقفك.

- وما قرارك؟

فنهضت ببطء قائلاً: أتمنى لك يوماً طيباً يا سيدتي، لقد قمت بتحرياتي وفشلت، وانتهت القضية.

* * *

وتوقف بوارو عن الحديث لبرهة ثم أردف يقول: وماتت بعد ذلك بأسبوع. هذه هي القصة يا صديقي.

فأجبته باسماً بقولي: ولكن القصة لا تعني أنك فشلت، فلم تكن تستطيع أن تفكر في شكل آخر في ظل الظروف التي واجهتك.

فصرخ بوارو فجأة كأنه أفاق من حلم من أحلام اليقظة قائلاً: يا إلهي! ألم تفطن بعد إلى ما أعنيه يا صديقي هيستنغز؟ فقد كانت الحقيقة واضحة أمام عيني، ومع هذا

فقد فشل عقلي في إدراكها. كان الدليل بين يديّ.

- أي دليل؟

- علبة الشوكولاتة! هل كان أي إنسان سليم البصر يرتكب مثل ذلك الخطأ؟ كنت أعلم أن عينَي السيدة ديرولار مصابة بالمياه البيضاء وأنها تُعالَج بنقط الأتروبين، وهي الشخص الوحيد في المنزل الذي لا يستطيع تمييز لون الغطاء حين فكرت في إعادته إلى موضعه. كانت علبة الشوكولاتة -في البداية- هي الأثر الذي تتبعته لإماطة اللثام عن هذه القضية، ومع هذا فشلت في النهاية في إدراك معنى تغيير غطاء العلبة.

* * *

سرقة السندات

وضعت الصحيفة الصباحية جانباً وأنا أقول لبوارو: لقد تعددت سرقة السندات في الفترة الأخيرة يا بوارو. ما رأيك لو أننا تركنا الكشف عن الجريمة لنرتكبها؟

قال بوارو بانفعال: ماذا تريد أن تقول، أن تحقق الثراء بالطريق السريع؟

- انظر إلى هذه الضربة. مليون دولار من السندات يرسلها بنك لندن واسكتلندا إلى نيويورك على ظهر الباخرة أوليمبيا وتختفي كالدخان في الهواء!

- لو لم يكن دوار البحر يتعبني لقمت برحلة بحرية طويلة على واحدة من عابرات المحيطات.

وقلت له بحماس: نعم، بعض تلك البواخر الضخمة تضم مطاعم وملاعب. من الصعب أن يصدق الإنسان أن تتوفر كل هذه المتع على سطح البحر.

قال بوارو بحزن: أما أنا فلا أستمتع بتلك المتع التي تتحدث عنها عندما أكون في البحر. ولكن تخيل الشخصيات التي تسافر بالبحر، فعلى ظهر هذه البواخر يلتقي الإنسان بالصفوة من العظماء في عالم الجريمة.

ضحكت وأنا أقول له: إذن فقد كنت تتمنى أن تقوم برحلة بحرية لتلتقي وجهاً لوجه باللص الذي سوق السندات؟

وفي هذه اللحظة دخلت صاحبة البيت لتعلن عن قدوم شابة تطلب مقابلة بوارو، وكانت بطاقتها تحمل اسم الآنسة إيمي فاركوهار. وبعد أن انحنى بوارو تحت المائدة ليلتقط قطعة من فتات الخبز سقطت على الأرض طلب من صاحبة البيت أن تدخل الزائرة.

وبعد لحظة كانت تدخل الحجرة واحدة من أجمل من رأيت من النساء، تبلغ من العمر نحو خمسة وعشرين عاماً ذات عينين عسليتين واسعتين وقوام بديع وترتدي ملابس فاخرة. قال لها بوارو: تفضلي بالجلوس يا آنسة. هذا صديقي الكابتن هاستنجز الذي يعاونني في حل المشاكل الصغيرة.

قالت الآنسة فاركوهار وهي تنحني لي قبل الجلوس: أخشى أن تكون المشكلة التي آتيك بها اليوم يا مسيو بوارو جسيمة. أعتقد أنك قرأت الصحف، أقصد حادث سرقة السندات على ظهر الباخرة أوليمبيا؟

لا بد أن تكون الدهشة قد ظهرت على وجه بوارو لأنها قالت بسرعة: لعلك تتساءل عما يهمني من تلك المشكلة الخطيرة التي يوجهها بنك لندن واسكتلندا؟ وأحب أن أقول لك إنها من ناحية لا تهمني إطلاقاً، ومن الناحية الأخرى تهمني جداً لأنني مخطوبة للسيد فيليب ريدجواي.

- آه، ومن يكون السيد فيليب ريدجواي؟

- إنه الشخص الذي كانت السندات تحت رعايته عندما سرقت. وبالطبع لم يوجه إليه حتى الآن أي لوم لأن الخطأ لم يكن خطأه بأي حال، ولكنه مهموم إلى أبعد الحدود وعمه يتهمه بأنه قد يكون تحدث بإهمال عن وجود السندات معه، وسوف يكون لهذا الحادث تأثيره السيئ على مستقبله.

- ومن هو العم؟

- السيد فافاسور، المدير المساعد لبنك لندن واسكتلندا.

- ما رأيك يا آنسة فاركوهار في أن تروي لنا القصة بالتفصيل؟

- حسناً. لقد أراد البنك أن يمد نشاطه إلى أمريكا، ومن ثم قرر أن يرسل إلى الولايات المتحدة سندات بمليون دولار، واختار السيد فافاسور ابن أخيه الذي يشغل وظيفة في البنك تجعله أهلاً للثقة، فضلاً عن أنه عمل في البنك سنوات طويلة مما يجعله على دراية بكل أعمال البنك. وأبحرت الباخرة أوليمبيا من ميناء ليفربول في الثالث والعشرين، وكانت السندات قد سلمت لفيليب في صبيحة ذلك اليوم بمعرفة السيد فافاسور والسيد شو، المديرين المشاركين للبنك، وتمّ إحصاء السندات ووضعت في لفافة ثم ختمت بحضور فيليب الذي وضعها في الحال في حقيبته.

- أهي حقيبة ذات قفل عادي؟

- كلا، فقد أصر السيد شو على أن يجهز الحقيبة بقفل

خاص من هوبس، ووضع فيليب اللفافة التي تضم السندات في قاع الحقيبة. وقد وقعت السرقة قبل ساعات قليلة من وصول السفينة إلى نيويورك، وأجري تفتيش دقيق للسفينة دون جدوى وبدا الأمر كما لو أن السندات قد تبخرت في الهواء.

قال بوارو: ولكنها لم تختفِ تماماً بدليل أنها قد طُرحت للبيع في مجموعات صغيرة خلال نصف ساعة من رسو السفينة على الشاطئ. سوف تكون الخطوة التالية أن أقابل السيد ريدجواي.

قالت الفتاة: كنت على وشك أن أقترح عليك أن تتناول الغداء معي في مطعم شايرشيز لأن فيليب سوف يكون هنالك. من المفروض أن نلتقي هناك ولكنه لا يعلم حتى هذه اللحظة أنني أطلب مشورتكم في المشكلة نيابة عنه.

وافقنا على الاقتراح بترحيب وركبنا سيارة أجرة إلى المطعم. وكان السيد فيليب ريدجواي قد سبقنا إلى هناك، وقد فوجئ بوصول خطيبته في صحبة رجلين غريبين. كان فتى جذاباً طويل القامة، وكان شعر سوالفه رمادياً رغم أنه لم يتجاوز الثلاثين بكثير. واتجهت الآنسة فاركوهار نحو خطيبها فوضعت يدها فوق ذراعه قائلة: أرجو أن تعفو عني يا فيليب إذا كنت قد تصرفت دون مشورتك. دعني أقدم لك المسيو هيركيول بوارو المخبر الكبير الذي سمعت عنه ولا شك، وصديقه الكابتن هاستنجز.

بدت الدهشة على ريدجواي الذي قال وهو يصافح بوارو: بالطبع لقد سمعت عنك الشيء الكثير يا مسيو بوارو، لكنني لم أفكر قط في أن إيمي ستلجأ إليك بشأن مشكلتي.

قالت الآنسة فاركوهار: كنت أخشى ألا توافق على الفكرة يا فيليب.

فقال فيليب باسماً: لهذا رأيت أن تكوني في جانب الأمان. أرجو أن يتمكن المسيو بوارو من حل هذا اللغز المحير لأنني أعترف بأنني أكاد أجن لما حدث.

كان وجهه مشبعاً بالقلق بالفعل ويعكس آثار الضغط العصبي الذي يعاني منه، وقال بوارو: حسناً، فلنتناول طعام الغداء ونتحدث خلال الطعام عن المشكلة. أريد أن أسمع القصة من السيد ريدجواي نفسه.

وبعد أن تحدثنا عن جودة الطعام راح فيليب ريدجواي يروي الظروف التي انتهت باختفاء السندات، وجاءت قصته متفقة في كل التفاصيل مع ما روته الآنسة فاركوهار.

- ما الذي جعلك تجزم بأن السندات قد سرقت يا سيد ريدجواي؟

ضحك الشاب بمرارة ثم قال: لقد صدمتني الحقيقة في وجهي يا مسيو بوارو وما كان باستطاعتي أن أتغافل عنها، فقد كانت الحقيبة مفتوحة عندما دخلت كابينتي والأشياء التي يداخلها مبعثرة، بينما آثار محاولة فتح القفل ظاهرة.

- لكني فهمت أن الحقيبة قد فُتحت بواسطة مفتاح.

- هذا صحيح. لقد حاول اللصوص كسر القفل فلم تنجح المحاولة، ولا بد أنهم فتحوها آخر الأمر بوسيلة أو بأخرى.

قال بوارو وفي عينيه بريق الاهتمام: هذا أمر غريب، بالغ الغرابة. يضيعون وقتاً طويلاً جداً في محاولة كسر القفل ثم يكتشفون أن المفتاح كان معهم منذ البداية! والمعروف أن مفاتيح هوبس فريدة في نوعها بحيث لا يُصنع من كل مفتاح سوى نسخة وحيدة.

- وهذا هو السبب الذي من أجله لم يكن باستطاعتهم الحصول على المفتاح، والمفتاح الذي كان معي لم يكن يفارقني في الليل أو النهار.

- هل أنت متأكد من ذلك؟

- أستطيع أن أقسم على ذلك، فضلاً عن أنهم لو كانوا يملكون المفتاح أو نسخة منه لما أضاعوا الوقت في محاولة كسر قفل من الواضح أنه غير قابل للكسر.

- آه، وهذا هو السؤال الذي يجب أن نوجهه لأنفسنا! وأستطيع أن أتنبأ بأن الحل (إذا ما اهتدينا إليه) سوف يدور حول هذه الحقيقة الغريبة. أرجو ألا يزعجك أن أوجه إليك سؤالاً آخر أو سؤالين: هل أنت واثق تماماً من أنك لم تترك الحقيبة مفتوحة؟

حملق الشاب في وجه بوارو بدهشة دون أن يجيب، فقال بوارو بهدوء: ولكن مثل هذه الأشياء تحدث. حسن جداً، لقد سُرقت السندات من الحقيبة، فما الذي فعله اللص بالسندات؟ كيف استطاع النزول إلى الشاطئ والسندات معه؟

صاح الشاب بانفعال: هذه هي المشكلة! كيف؟ لقد أحيط رجال الجمارك علماً بالسرقة فلم يتركوا راكباً واحداً دون أن يفتشوه بدقة أثناء نزوله إلى الشاطئ.

- والسندات كانت تؤلف لفافة ضخمة على ما أعتقد؟

- بكل تأكيد، ولم يكن من السهل إخفاؤها في الباخرة. ومع ذلك فنحن نعلم أنها لم تُترك في الباخرة لأنها طرحت للبيع خلال نصف ساعة من وصول الباخرة، أي منذ وقت طويل قبل أن أتمكن من إرسال البرقية وأتلقى الرد بأرقام السندات! وأكثر من هذا، لقد صرح أحد السماسرة أنه تلقى بعض السندات قبل أن تصل الباخرة إلى الميناء، وليس من المعقول بالطبع أن ترسل السندات باللاسلكي!

- ليس باللاسلكي طبعاً، ولكن هل اقتربت من الباخرة أي مقطورة؟

- لم أرَ سوى المقطورات الرسمية، وكان ذلك بعد الإنذار بالحادث. وقد كنت أراقب الموقف بنفسي لعل السندات تهرّب بتلك الطريقة. يا إلهي! إن هذا الحادث يدفعني للجنون يا مسيو بوارو. لقد بدأ الناس يقولون إنني سرقت السندات بنفسي.

سأل بوارو برقة: ولكنهم فتشوك كما فتشوا الآخرين، أليس كذلك؟

- بلى.

وقال بوارو وهو يبتسم ابتسامة غامضة: يبدو أنك لم تفهم ما أعنيه. سوف أبدأ الآن بعض التحريات في البنك.

أخرج ريدجواي بطاقة من جيبه وكتب عليها بضع كلمات قائلاً: قدم هذه البطاقة وسوف يقابلك عمي على الفور.

شكره بوارو واعتذر للآنسة فاركوهار، ثم انسحبنا لنذهب رأساً إلى المكتب الرئيسي لبنك لندن واسكتلندا. وبمجرد تقديم بطاقة ريدجواي سُمح لنا باجتياز القاعات الفسيحة المزدحمة بالحواجز والمكاتب وغرف الصيارفة، ثم وصلنا في النهاية إلى غرفة صغيرة تضم مكتب مديرَي البنك. وكان الأسى يبدو واضحاً على وجهَي السيدين العجوزين اللذين أمضيا زهرة العمر في خدمة البنك. وكانت للسيد فافاسور لحية قصيرة بيضاء بينما كان السيد شو حليق الذقن، وقال السيد فافاسور: أعلم أنك مخبر خاص تقوم بالعمل لحسابك تماماً. لقد وضعنا الأمر بالطبع بين يدي رجال اسكتلنديارد، ويحقق في هذه القضية المفتش ماك نيل وهو ضابط قدير على ما أعتقد.

قال بوارو بأدب شديد: أنا واثق من ذلك، وأرجو أن تسمح لي بالنيابة عن ابن أخيك أن أوجه بضعة أسئلة بشأن ذلك القفل. مَن الذي طلب من هوبس صنعه؟

قال السيد شو: أنا الذي أمرت بذلك شخصياً لأنني لم أكن أستطيع أن أطمئن إلى قيام واحد من الكتبة بهذا العمل. وفيما يتعلق بالمفاتيح فقد سلمت واحداً للسيد ريدجواي، والمفتاحان الآخران في عهدتي وعهدة زميلي.

- ألم يقترب من تلك المفاتيح أحد من كتبة البنك؟

نظر السيد شو إلى زميله مستفسراً، فقال السيد فافاسور: أعتقد أنني أقول الحق عندما أقرر أن المفتاحين ظلا في الخزانة منذ يوم ٢٣ عندما أودعناهما فيها بأنفسنا، ولسوء الحظ أصيب زميلي بالمرض منذ أسبوعين. في الواقع فوجئ بالمرض في نفس اليوم الذي سافر فيه فيليب ولم يُشفَ من مرضه ويرجع إلى العمل إلاّ اليوم.

قال السيد شو بأسف: ليست النزلة الشعبية بالأمر الهين لمن هو في مثل سني. وأخشى أن أقول إن السيد فافاسور قد تحمل العمل الشاق وحده أثناء مرضي، بالإضافة إلى الهموم الجديدة التي أضيفت بحادث السرقة.

وجه بوارو بضعة أسئلة أخرى، واتضح لي أنه يحاول قدر الاستطاعة التثبت من صحة المعلومات التي حصل عليها بمقارنة كلام العم وابن أخيه، وكانت إجابات السيد فافاسور مختصرة ومحكمة، فقد قال إن ابن أخيه شخص موثوق فيه وإنه ليس غارقاً في الدين ولا يواجه أية متاعب مالية، وقد سبق أن عهد إليه بمهام مماثلة في الماضي. وانحنى لنا الرجل العجوز بأدب مودعاً.

وعندما خرجنا إلى الشارع قال بوارو: لقد أصبت بخيبة أمل.

- هل كنت تتوقع الحصول على المزيد من الحقائق؟ لقد كانا عجوزين ثقيلين.

- ليست غلظتهما هي التي خيبت آمالي يا صديقي، فلم أتوقع كما في الروايات البوليسية أن أقابل رجلاً مالياً حاد الذكاء وفي عينيه نظرات الصقر المتحفز، إن الذي يشعرني بخيبة الأمل أن القضية سهلة إلى أبعد حد.

- سهلة؟!

- نعم، ألا ترى أن طفلاً يستطيع أن يهتدي إلى السر بسهولة؟

- تريد أن تقول إنك تعرف من الذي سرق السندات؟

- نعم.

قلت في اضطراب: ولكن، يجب أن... لماذا...

- لا تسبب لنفسك الحيرة يا هاستنجز، فلن نفعل شيئاً في الوقت الحاضر.

- ولكن لماذا؟ ماذا تنتظر؟

- الباخرة من نيويورك يوم الثلاثاء المقبل.

- ولكن إذا كنت تعرف من الذي سرق السندات فلماذا تنتظر وتتيح الفرصة للسارق كي يهرب؟

- يهرب إلى جزيرة في بحر الجنوب لا تلتزم بتسليم المجرمين الفارين؟ كلا يا صديقي، سوف يجد الحياة بلا طعم هناك! أما سبب انتظاري يا صاحبي... حسناً، بالنسبة لعبقرية هيركيول بوارو تبدو القضية بالغة السهولة والوضوح، أما انتظاري فلمصلحة الآخرين الذين لم يمنحهم الله هذه الموهبة (المفتش ماك نيل على سبيل المثال)، وفترة الانتظار تسمح بالقيام ببعض التحريات التي توضح بعض الأمور. يجب أن يضع الإنسان في تقديره أولئك الذين لم يوهبوا مثل عبقريته!

قلت بغيظ: يا إلهي! هل تعرف يا بوارو أنني على استعداد لأن أدفع مبلغاً كبيراً لأراك تفشل ولو مرة واحدة وتبدو كالحمار الأبله. إنك تثق في قدرتك إلى درجة الغرور.

- لا تستسلم للغضب يا هاستنجز. إنني في الحقيقة أرى مشاعرك نحوي في بعض الأحيان تصل إلى حد الكراهية. إنني أدفع ثمن عبقريتي للأسف الشديد!

ضرب الرجل الصغير صدره وهو يقول تلك الكلمات بحيث بدا لي مظهره مضحكاً للغاية، فلم أستطع أن أكتم الضحك.

* * *

ركبنا يوم الثلاثاء القطار إلى ميناء ليفربول، ورفض بوارو بعناد أن يخبرني بشكوكه أو نظرياته التي تحقق منها

واكتفى بالتعبير عن دهشته لأنني أنا أيضاً لا أستطيع أن أرقى إلى مستوى الموقف. ولما كنت قد كرهت الجدل معه فقد أخفيت مشاعري وتظاهرت بعدم الاكتراث.

بمجرد وصولنا إلى الرصيف الذي يُنتظر أن ترسو عليه الباخرة أصبح بوارو يقظاً، وكانت خطته تقضي بأن نقابل أربعة من الخدم الذين يعملون على السفينة وأن نبحث عن رجل سافر إلى نيويورك في الثالث والعشرين من الشهر، سيد عجوز يضع نظارات على عينيه وهو مقعد تماماً وقلما كان يتحرك من كابينته.

كان الوصف ينطبق على رجل يدعى السيد فنتور، وكان الرجل يشغل الكابينة رقم س ٢٤، وهي الكابينة المجاورة لتلك التي كان يحتلها السيد فيليب ريدجواي. ورغم أنني لم أستطع أن أعرف الكيفية التي استنتج بها بوارو وجود شخصية السيد فنتور، إلاّ أن هذا الاكتشاف زاد فضولي فقلت لأحد خدم السفينة: قل لي، هل كان هذا السيد أول من غادر السفينة عند وصولها إلى نيويورك؟

هزّ الخادم رأسه نفياً وأجاب: كلا يا سيدي، لقد كان في الواقع آخر من غادر السفينة من الركاب.

غمرني شعور باليأس، ورأيت بوارو يقطب جبينه وهو ينظر إليّ، وشكرنا الخادم ثم انصرفنا فقلت له: حسن جداً، ولكن هذه الإجابة الأخيرة لا بد أن تكون قد قلبت نظريتك رأساً على عقب؟

قال بوارو ساخراً: أنت كعادتك لا تلاحظ شيئاً يا هاستنجز، هذه الإجابة الأخيرة على العكس عززت وجهة نظري تماماً.

ضممت يدي في يأس وأنا أقول: إني أعترف بالعجز.

* * *

عندما ركبنا القطار المسرع إلى لندن كان بوارو مشغولاً بكتابة خطاب لمدة بضع دقائق، ثم وضع الخطاب في مظروف وأغلقه بعناية وهو يقول: هذا للمفتش الطيب ماك نيل. سوف نتركه له في مكتبه في اسكتلنديارد أثناء مرورنا بالمكتب ثم نتوجه إلى المطعم الذي حددته للآنسة إيمي فاركوهار لتتناول معنا طعام العشاء.

- وماذا بشأن ريدجواي؟

قال بوارو وهو يغمز بعينه: ماذا بشأنه؟

أجبته في اضطراب: من المؤكد أنك لا تفكر في... إنك لا تستطيع أن...

قال بوارو باسماً: لقد بدأت عادة عدم انتظام التفكير تتضخم لديك يا هاستنجز. في الواقع لقد فكرت في الأمر، لو أن ريدجواي هو اللص (وهذا مستحيل تماماً) لكانت القضية مشوقة للغاية ولا تحتاج إلى أكثر من بعض التفكير المنطقي لحل اللغز.

- ولكنها لا تكون مشوقة بالنسبة للآنسة فاركوهار.

- من المحتمل أن تكون على حق. والآن دعنا نستعرض القضية معاً يا هاستنجز، فإنني أراك في أشد اللهفة إلى معرفة الحل. لقد اختفت اللفافة المختومة من الحقيبة وتبخرت -كما تقول الآنسة فاركوهار- في الهواء. وسوف نستبعد نظرية التبخر في الهواء لأنها غير عملية في عصر العلم الذي نعيشه اليوم، ولنفكر فيما هو محتمل أن يحدث للفافة السندات. كما يؤكد الجميع استحالة تهريب سندات إلى الشاطئ.

- نعم، ولكننا نعلم...

قاطعني بوارو قائلاً: ربما كنت تعلم يا هاستنجز ولكنني لا أعلم، ومن رأيي أنه طالما كانت تلك الفكرة غير معقولة فهي غير معقولة. يبقى أمامنا احتمالان: أن تكون السندات قد أُخفيت على ظهر الباخرة، وهذا الاحتمال أيضاً يبدو مستبعداً، أو أن تكون السندات قد ألقيت من ظهر السفينة إلى البحر.

قلت بدهشة: تعني أنها ربطت إلى قطعة من الفلين؟

- بلا فلين.

حملقت في وجهه بدهشة وأنا أقول: ولكن لو ألقيت السندات في البحر لما كانت ستطرح للبيع بعد ذلك في نيويورك.

- إنني معجب بطريقة تفكيرك المنطقي يا هاستنجز. لقد عُرضت السندات للبيع في نيويورك ولهذا فلا يمكن أن تكون قد ألقيت في البحر. ألا ترى إلى أين يقودنا هذا الاستنتاج؟

- إلى حيث كنا ساعة بدأنا.

- أبداً. إذا كانت اللفافة التي تضم السندات قد أُلقيت في البحر وبيعت في نيويورك، فلا يمكن أن تكون اللفافة التي ألقيت في البحر هي التي تضم السندات. هل هناك أي دليل على أن اللفافة كانت تضم السندات بالفعل؟ تذكّر أن السيد ريدجواي لم يفتح اللفافة منذ وضعت بين يديه في لندن.

- نعم، ولكنه بعد ذلك...

أشاح بوارو بيده في ضيق وهو يقول: اسمح لي أن أكمل عرضي. آخر مرة شوهدت فيها السندات كسندات كانت في لندن. في بنك لندن واسكتلندا صباح يوم ٢٣، ثم تعود السندات للظهور بعد نصف ساعة من رسو الباخرة على الشاطئ في نيويورك. بل وأكثر من هذا ووفقاً لشهادة أحد السماسرة الذين لم يشأ أحد أن يستمع إليهم، ظهرت السندات في السوق قبل وصول الباخرة! فلنفترض الآن أن السندات لم تسافر أصلاً على ظهر الباخرة أوليمبيا... هل توجد وسيلة أخرى لوصول السندات إلى نيويورك؟ نعم، كانت الباخرة جايجانتيك تبحر من ميناء سوثهامبتون

في نفس اليوم الذي تبحر فيه الباخرة أوليمبيا، والمعروف أن جايجانتيك صاحبة الرقم القياسي في عبور المحيط الأطلنطي. فإذا أُرسلت السندات على ظهر جايجانتيك أتيح لها أن تصل إلى نيويورك في اليوم السابق لوصول أوليمبيا. أظن أن الأمور قد بدأت تتضح وبدأت القضية تشرح نفسها. لقد كانت اللفافة المختومة مجرد دمية للتعمية، ولا بد أن تكون عملية استبدال اللفافة قد جرت في البنك نفسه. وكان من السهل على أي رجل من الثلاثة أن يغير اللفافة التي تضم السندات الحقيقية بلفافة أخرى مزيفة، ثم تُشحن السندات لتصل إلى عميل في نيويورك لديه التعليمات بأن يعرض السندات للبيع بمجرد وصول الباخرة أوليمبيا. ولكن لا بد أن يسافر شخص ما على ظهر الباخرة أوليمبيا لينظم عملية السرقة المزعومة للسندات.

- ولكن لماذا؟

- لأن ريدجواي بمجرد أن يفتح اللفافة ويكتشف أنها لا تضم السندات فإن الشبهات سرعان ما تتجه إلى شخص ما في لندن. والآن يجيء دور الرجل الذي حجز الكابينة المجاورة لريدجواي. يتصنع الرجل أنه حاول كسر القفل عنوة حتى يترك من الآثار ما يلفت الأنظار إلى محاولة السرقة، ثم يفتح الحقيبة بعد ذلك بنسخة من المفتاح كانت معه طوال الرحلة، ثم يلقي اللفافة بعد ذلك في البحر وينتظر حتى يكون آخر من يغادر السفينة من الركاب. وهو يضع نظارات على عينيه، وهذا أمر طبيعي ليخفي عينيه،

وهو مقعد طالما أنه لا يجب أن يخاطر بمقابلة ريدجواي. وينزل الرجل المقعد إلى الشاطئ في نيويورك ليعود على ظهر أول باخرة متاحة.

- ولكن مَن... من يكون الرجل؟

- الرجل الذي يملك نسخة من المفتاح... الرجل الذي أمر بإعداد القفل... الرجل الذي لم يكن مريضاً ويعاني من نزلة شعبية حادة كما يدّعي، وهو ذلك الرجل العجوز الماكر السيد شو! يوجد أحياناً مجرمون يا صديقي يشغلون أعلى المناصب. آه، ها قد وصلنا.

- آنستي، لقد نجحت. هل تسمحين؟

وفوجئت الفتاة ببوارو مشرق الوجه يقبلها قبلة خفيفة على كل خد من خديها دون سابق إنذار!

* * *

المحتويات

الإرث المشؤوم..... ٥
لغز اختفاء الطاهية ٢٧
السم القاتل.....٥١
الفدية.....٧٥
جريمة المسرح.....٩٧
علبة الحلوى ١٢١
سرقة السندات ١٤١